

القول السديد في الخطب الشديدة

خطب منبرية ودروس مسجدية
بشأن حرب الإبادة في غزة
دليل مخصّص للأئمة والخطباء في أوروبا



EUROPEAN COUNCIL OF IMAMS
المجلس الأوروبي للأئمة



EUROPEAN COUNCIL OF IMAMS
المجلس الأوروبي للأئمة

إصدارات المجلس الأوروبي للأئمة

رمضان 1445 هـ
مارس 2024 م

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



فهرس المحتويات

- 8 هذا الدليل
- 14 كيفية التعامل مع هذا الدليل
- موضوعات الخطب والدروس والمواعظ
- 20 الموضوع الأول: الابتلاء واليقين
- 26 الموضوع الثاني: تشجيع الوحشية وتبرير الإبادة!
- 36 الموضوع الثالث: مسّتهم البأساء والضراء وزلزلوا
- 46 الموضوع الرابع: فظائع غزّة تتحدّى مبادئنا
- 54 الموضوع الخامس: شهود على وحشية العدوان
- 60 الموضوع السادس: أهوال الإبادة وأسئلتها الإنسانية
- 70 الموضوع السابع: جريمة ضدّ الإنسانية .. (فكّأتما قتل الناس جميعاً)
- 78 الموضوع الثامن: متانة الإيمان وعمق اليقين
- 88 الموضوع التاسع: عن الأخوة والتزاماتها
- 96 الموضوع العاشر: العدوان على الإنسان والمقدّسات والحرمات
- 104 الموضوع الحادي عشر: مشاهد وعظات من غزّة
- 112 الموضوع الثاني عشر: دروس في الصبر والاحتساب عند الشدائد
- 120 الموضوع الثالث عشر: مساسّ فظيّع بكرامة الإنسان .. (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ)

128	الموضوع الرابع عشر: إبادة المساجد والعلماء والأئمة والحفّاظ
136	الموضوع الخامس عشر: دروسٌ في تقدير النّعم
146	الموضوع السادس عشر: الجسد الواحد في زمن الإبادة
154	الموضوع السابع عشر: علّة أخلاقية في سياسات عالمنا
162	الموضوع الثامن عشر: الإبادة الوحشية تطارد الكائنات جميعاً
172	الموضوع التاسع عشر: امتحانٌ للضائر وتمحيصٌ للمواقف
180	الموضوع العشرون: الحثّ على التآخي والتضامن
186	الموضوع الحادي والعشرون: حرب التجويع وفظائعها
	الملاحق
194	إعلان عالمي من مفكّرين ومثقفين وقيادات دينية وشخصيات عامّة وأدباء وفنانين
200	الإعلان الإنساني العالمي لنصرة فلسطين



هذا الدليل

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على خاتم الأنبياءِ والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، وبعد،

يصدرُ هذا الدليل بينما تتواصل حرب الإبادة الوحشية التي تستهدف الشعب الفلسطيني في قطاع غزة (٢٠٢٣ - ٢٠٢٤)، في موسم مُزلزل، حرّك الضمائر اليقظة والجماهير الحرّة حول العالم على اختلاف ألسنها وألوانها وانتماءاتها الثقافية والدينية.

وقد تعيّن على منابر المساجد أن تقول قولتها في هذه النازلة الجسيمة، التي شغلت الناس في المشارق والمغرب، ويؤمل من هذا الدليل أن يُساند الإمام والخطيب في الإعراب عن موقف شرعيٍّ ومبدئيٍّ من الاحتلال الجائر والإبادة الجماعية والتطهير العرقي وجرائم الحرب الفظيعة، ومناصرة حقوق شعب فلسطين الواقع تحت احتلالٍ عسكريٍّ مديد واضطهاد



مُزْمِنٍ وتفرقة عنصرية متأصلة وجولاتٍ عدوانٍ متلاحقة، وإن لم يوافق هذا أهواء السياسة والإعلام.

ومما ينبغي التذكيرُ به أن تجاهل الإبادة الجارية لا يُعبرُ في الواقع عن التزام مبدئيٍّ أو أخلاقيٍّ، كما لا يُمثّل بالأحرى موقفاً شرعياً يلتزم الحقَّ والعدل في القول والعمل، علاوة على أنه لن يُعبرَ بهذا عن يقظة الحسّ الإنساني والضمير الأخلاقي.

ومن نافلة القول أن إعراب الإمام أو الخطيب، في الخطبة أو الدرس أو الموعدة، عن موقف مبدئيٍّ وأخلاقيٍّ وإنسانيٍّ وشرعيٍّ في نازلةٍ كبرى ومسألةٍ عامّة، لا ينبغي أن يفهم منه تسييسُ المسجد والمنبر، وإنما هو إبداءٌ واجبٌ لموقف شرعيٍّ ومبدئيٍّ وأخلاقيٍّ وإنسانيٍّ من قضية ساخنة ومُلحّة، يُرجى مثله من المنابر جميعاً في شتى الحقول. على أن ذلك يقتضي العناية بحسّن صياغة الموقف وضبط تعبيراته، وبتنمية الخبرة الذاتية بكيفية التعبير عن مسائل تبدو أحياناً إشكالية أو حسّاسة في النقاش العامّ أو مخوفة بذرائع محبوكة في بيئات معيّنة. وعلى رواد المنابر في البيئات الأوروبية وغيرها أن يتنبّهوا إلى المزالق المترتبة على بعض التعبيرات غير المحسوبة



بطبيعة الحال.

وقد واجه بعض الأئمة والخطباء الأفاضل تحديات بشأن كيفية التعبير عن الموقف الشرعي والمبدئي والأخلاقي في مسألة قد تبدو شائكة وحساسة في المداولات العامة، خاصة في بلدان أوروبية انغلقت ابتداءً على سرديّة أحادية داعمة للاحتلال وحرب الإبادة دون أيّ تحفّظات أو استدراقات؛ من قبيل مراعاة القانون الدولي وحقوق الإنسان وأخلاقيات الحرب. وغنيٌّ عن البيان أنّ مساندة الحقوق والعدالة هي من تجلّيات الاجتماع المندوب على «كلمة سواء»، وممّا يُرجى أن يتعزّز الالتزام المبدئي والأخلاقي في البيئات الأوروبية بهذه القيم والمبادئ بصفة سابعة تتحاشى الانتقائية والازدواجية والقصور.

إنّ حقيقة وقوع إبادة جماعية على مرأى من البشرية جمعاء، على نحو يماثل نكبة فلسطين ١٩٤٨ أو قد يفوقها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّها حدث يجري هذه المرّة بصفة مرئية ومنقولة عبر البثّ المباشر ويتواصل في عالم يحتفي بمواثيقه وقيمه ومبادئه؛ ممّا يؤكّد أنّ إيثار الانكفاء والنأي بالنفس عن إبداء



موقفٍ واضحٍ من هذه الفظائع المروّعة؛ ليس سلوكاً مقبولاً من أيّ طرفٍ مجتمعيّ في الواقع الأوروبي، علاوة على أنّ إبداء مواقفٍ مُنساقةٍ مع خطاباتٍ تتذاكى في تبرير جرائم الحرب والإبادة والتطهير العرقي؛ هو انزلاقٍ مبدئيٍّ وأخلاقيٍّ بين. وإن استساغت أيّ بيئةٍ سياسية وإعلامية وثقافية الانحياز إلى حربٍ إبادةٍ وتطهيرٍ عرقيٍّ وجرائم حربٍ، بشكلٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ، فإنّ هذا يُنذرُ باستمرارٍ ما يشابهها أو ما يدنوها من الانتهاكات في غيرها من المواضع.

إنّ اتخاذ موقفٍ مبدئيٍّ وأخلاقيٍّ إزاء تطوُّرٍ يشغل العالم بأسره موسماً بحياله؛ مثل تحدياً للمجتمعات والشعوب الأوروبية عموماً، وقد حرّك هذا الإدراكُ جماهيرٍ ونخباً حرصت على إبداء الموقف المبدئي والأخلاقي بأشكالٍ متعدّدة. ومن دواعي الاستبشار أنّ شهدت أوروبا والعالم موجةً تضامنيّةً غير مسبوقّة في حجمها وامتدادها، مع الحرية والعدالة في فلسطين و ضدّ حرب الإبادة الجماعية المسلّطة على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة.



يُستحسن أن يُراعِيَ الإمامُ والخطيبُ المستجداتِ والأحداثَ والمناسباتِ الدينيَّةَ والعامَّةَ، ليكونَ ما يُلائمُ منها مقامَ الخطابةِ والدرسِ والوعظِ منطلقاً لموضوعاتِ التناوُلِ، ولتقديمِ الإرشادِ والتوجيهِ من خلالِ ما يتيَسَّرُ منها، وبما ينمِّي حاسَّةَ التفاعلِ الإيجابيِّ لمرتادي المساجدِ ولعمومِ الجمهورِ مع هذه المستجداتِ والمناسباتِ. ولاشكَّ أنَّ حربَ الإبادةِ الوحشيةِ وفظائعها المرئيةَ للنَّاسِ كافَّةً تمثِّلُ محطةً استثنائيةً تقتضي إيلاءها عنايةً فائقةً وأولويةً متصدِّرةً في سياقها الزمنيِّ، والسعيِ إلى استلهاَمِ المعانيِ والدروسِ والعِظَمِ والقيَمِ الماثلةِ فيها من جانب؛ وتكليفِ المناسباتِ الدينيةِ والعامَّةِ، مثل رمضانِ والعيدينِ والحجِّ والإسراءِ والمعراجِ والهجرةِ وغيرها، مع هذا الموسمِ المُزلزلِ من جانبٍ آخر.

لا تنتفي الحاجةُ إلى هذا الدليلِ بهدوءِ القصفِ الوحشيِّ أو بتوقُّفِ حربِ الإبادةِ - وندعو اللهَ تعالى أن يحضُلَ هذا عاجلاً -، وقد وُضِعَتِ نصوصُ الدليلِ لتبقى مؤهَّلةً للأخذِ عنها والاستلهاَمِ منها آماداً لاحقةً، ذلك أنَّ موسمَ الإبادةِ الممتدِّ عبر سنتي ٢٠٢٣ و ٢٠٢٤ - حتى صدور الدليلِ - سيبقى



محفوراً في وَعِي الأجيال، وينبغي أن تبقى دروسه المؤلمة
وعظاته الموجعة وخلصاته المركزة حاضرةً من بعدُ كي لا
يتكرّر هذا بحقّ شعبِ فلسطين أو غيره من شعوبِ الأرض.



كيفية التعامل مع هذا الدليل

يُقدِّم هذا الدليل مُقترحاتٍ لمضامين الخُطْب الجُمُعيّة والدروس والمواعظ المسجديّة خصوصاً، كما أنّه مُتاح للقراءة والاستفادة للجمهور عموماً.

يتوجّه الدليل، أساساً، إلى الأئمة والخطباء في البيئات الأوروبية، على نحوٍ يُراعي في المقاصد والمضامين والمصطلحات والمفردات خصوصيات هذه البيئات وضوابط التعبير وألويّات التناول الأمثل فيها.

ومّا يسع الإمام أو الخطيب، أن يستعين بهذه المضامين في الخطابة والدروس والمواعظ، فقد تؤخذ كلّ مادة بحيالها فتكون خطبةً قائمةً بذاتها أو درساً أو موعظة، مع إلحاقها بالمقدّمة الشرعية وإرفاقها بفقراتٍ أخرى تنتهي بالدعاء، أو قد تُنتقى من بعض الموادّ فقراتٌ معيّنة فيؤتى بها في سياق يضعه الإمام أو الخطيب، أو تدمج فقراتٌ من موضوع معيّن



مع غيرها من المضامين الواردة في موضوعات أخرى ضمن هذا الدليل، أو تُستلهم الفكرة في عمومها ويُعبّر عنها الإمام أو الخطيب بما يراه من أساليب أخرى في الخطابة والدرس والوعظ.

وللخطيب أن يستزيد من المضامين بالاستعانة بالوثائق المرفقة ضمن هذا الدليل، أو بما يراه مناسباً من غيرها، ويُنصَح بتكليف النصوص بما يراعي مقام المسجد في الخطابة والدرس والوعظ.

ولاشكّ أنّ مضامين الدليل معروضةٌ للنقل إلى الألسن الأوروبية عموماً بما يُمليه مقام الخطبة أو الدرس أو الوعظ مع الجمهور.

وفي ما يلي بعض الملاحظات والتنبيهات التي يُنصَح بها في هذا الشأن:

* من المستحسن بفضيلة الإمام والخطيب أن يُورد آياتٍ قرآنية وأحاديث نبوية شريفة في مواضع تلائم الاستشهاد بها.

* من المستحسن بفضيلة الإمام والخطيب الكريم أن



يروى مشهداً إنسانياً معيّناً من الوقائع التي يتطرق إليها، لكن في الوقت ذاته من المهمّ تجنب الشحن المعنوي الذي يهيج المشاعر بصفة غير رشيدة. إنّ الكلمات تبلغ مبلغها من العقول والقلوب والضمائر حتى مع الحفاظ على سكينة المنبر ورصانة الخطبة وتحاشي الانفعال الزائد أو لغة التهيج الشكلية.

- * رغم وطأة الحدث الجسيم فإنّ حُطَبَ الجمعة والدروس والمواعظ المسجدية تركّز على الجوانب المبدئية، وتتجنّب لغة الوقائع السياسية والميدانية والتحليل الإخباري ونحوه.
- * من المهمّ العناية بانتقاء المفردات، والابتعاد عن مصطلحات وتعبيرات غير مناسبة وبعضها إشكاليّ أو قد يمثّل مشكلة قانونية في بيئة الإمام والخطيب. كما ينبغي تحاشي أي مفردات أو تعبيرات مسيئة أو قد يُساء فهمها أو قد تُستغلّ إعلامياً على غير المقصد الحميد منها.
- * لا ينبغي عند ذمّ العدوان والمجازر استعمال نسبة معينة أو وصف محدّد بطريقة قد يُفهم منها أنّها تنطوي على إساءة إلى طوائف أو فئات أخرى، ومن المهمّ مراعاة التزامات الخطاب ووضوابطه المعروفة في هذا الصدد.



* ينبغي التركيز على وصف ما يجري بصفة أنه عدوان على شعب تحت الاحتلال والحصار وانتهاك جسيم للمبادئ والقيم والأخلاقيات والشرائع وأنها حرب إبادة، وتجنب لغة المواكبة الميدانية والسياسية والتحليلية التي لها مقاماتها الأخرى.

* ليس مطلوباً من منبر المسجد، في الخطبة أو غيرها، إصدار تعبيرات إدانة وشجب واستنكار بشأن الأحداث والوقائع في أي اتجاه كان.

* يجدر الدعاء للأهالي في فلسطين وأن يُدفع العدوان والأذى عنهم، مع تحاشي أي تعبيرات قد يُساء تأويلها في هذا الصدد، مع الحذر من أن يأتي في الدعاء ما يمثل انتهاكاً لاعتبارات تقتضيها الأنظمة القانونية وأعراف البيئة الأوروبية التي يتحدث منها الخطيب أو قد تُعدّ غير ملائمة لمقام الخطابة والدرس والوعظ.

* تبقى مضامين الخطب والدروس والمواعظ التي يُقدّمها الأئمة والخطباء عرضةً للاجتزاء في مقاطع متداولة في الشبكات وتطبيقات التواصل، وقد يعزلها هذا الاجتزاء بصفة غير آمنة عن سياقها الأصلي؛ فتسبّب أحياناً بسوء



الفهم أو إساءة التأويل في بيئتها المحلية أو في بيئات أخرى في العالم قد تبلغها هذه المضامين المُجتزأة، وقد تُوضَع هذه المقاطع والمقتطفات في سياقات أخرى لا تتوافق مع الأصل ولا تنسجم مع المقصد. يجدرُ مراعاة هذا التحديّ في الخطاب والمخاطبة، والحرص بعناية فائقة على التحوّط من سوء الفهم، والحذر من الاجتزاء المشوّه الذي يتعمّد التحريف أو التزييف أو المبالغة، وهذا ما يفرض مزيداً من العناية بضبط مضامين الخطاب وأساليب المُخاطبة قدر الإمكان، ومحاولة درء احتمالات سوء الفهم أو إساءة التأويل التي قد تطرأ لأيّ سبب كان.



قال تعالى ..

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ
مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ
وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ
اللَّهِ قَرِيبٌ﴾

سورة البقرة ٢١٤ .



الموضوع الأوّل

«الابتلاء واليقين»

فقد شهدنا الفواجع الرهيبة التي أنزلت بغزّة وأهلها ..
وعايشنا المآسي الفظيعة التي ألحقتها حربُ الإبادة بالأهالي ..
تواصل القتلُ الجماعيُّ على مدار الساعة .. قتلُ رأينا مشاهدته
الوحشية .. وسَمِعنا أصداءهُ المدوّية عبر الشاشاتِ والشبكات
.. ولا يُعبأ فيه بمحكمة العدلِ الدولية وما تقرّره .. ولا
بمواثيقِ البشرِ وقوانينِ الحربِ ونداءاتِ الضمائر ..
كُنّا نعدّ الضحايا من قبل بالأفراد .. فصرنا نعدّ المجازرَ
بالعشراتِ في كلِّ يومٍ وليلة .. وفي كلِّ مجزرة منها حشدٌ من
الأطفالِ والنساءِ والشيوخِ والمرضى .. سُحِقوا سحقاً وصاروا
أشلاءً في رمشة عين ..
واستمرّ الغزاةُ نبشَ القبور .. وإخراجَ الجثامينِ من المقابر



.. والاستيلاء عليها .. مَنْ بُوْسِعِهِ أَنْ يَتَصَوَّرَ هَذَا فِي الْعَصْرِ
الْحَدِيثِ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ! جَيْشٌ يُطَارِدُ الْأَضْرَحَةَ
وَالجَثَامِينَ .. يَنْتَهِكُ حُرْمَةَ الْأَمْوَاتِ .. وَيَعِيْثُ فِي الْمَدَافِنِ فِسَادًا
وَتَخْرِيْبًا .. جَيْشٌ يُطَارِدُ الْإِنْسَانَ الْفِلَسْطِينِيَّ حَيًّا وَمَيِّتًا ..
وَمَنْ هَوْلٌ مَا جَرَى أَنْ مَسْتَشْفِيَاتِ قِطَاعِ غَزَّةٍ صَارَتْ مُحَاطَةً
بِالْمَقَابِرِ الْجَمَاعِيَةِ .. الَّتِي تَتَزَايِدُ فِي سَاحَاتِهَا وَجَنَابَتِهَا لِاسْتِيعَابِ
الْأَعْدَادِ الْهَائِلَةِ مِنَ الَّذِينَ فَتَكَتْ بِهِمْ حَرْبُ الْإِبَادَةِ .. وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ..

لَا رَيْبَ أَنَّ حَرْبَ الْإِبَادَةِ ابْتِلَاءٌ عَظِيمٌ .. وَمِحْنَةٌ قَاسِيَةٌ .. وَهِيَ
مَخَاضٌ شَاقٌّ تَكْبُدُ عَنَاءَهُ هَذَا الشَّعْبُ الْمُصَابِرُ .. الَّذِي قَاسَى
وَيَلَاتِ الْعَدْوَانَ وَمَرَارَةَ الْخُذْلَانَ .. هُوَ مَخَاضٌ عَلَى طَرِيقِ
الْحُرِّيَةِ الْمُعَبَّدِ بِالتَّضَحِيَّاتِ الْغَالِيَةِ .. فَإِنَّ الْمَتَأَمِّلَ فِي سَيْرِ الْأُمَّمِ
وَتَجَارِبِ الشُّعُوبِ الَّتِي نَهَضَتْ لِانْتِزَاعِ حَقُوقِهَا وَاسْتِرْجَاعِ
حُرِّيَّاتِهَا .. يُدْرِكُ أَنَّ طُغْيَانَ عَدُوِّهَا الْغَاشِمِ .. كَثِيرًا مَا جَاءَ
إِيذَانًا بِأَفْوَلِهِ .. وَأَنَّ إِسْرَافَهُ فِي التَّوَحُّشِ وَالتَّقْتِيلِ وَالتَّدْمِيرِ هُوَ
مِنْ إِرْهَاصَاتِ انْدِحَارِهِ وَانْكَفَائِهِ ..
وَإِنَّ مَا يَقَعُ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ الْعَدْوَانِيَّةِ مِنَ الْأَذَى الْبَالِغِ عَلَى



شعبِ فلسطين .. هو فَوْقَ هذا للمؤمنين بشارَةٌ بِحُسْنِ ثَوَابِ
الْآخِرَةِ .. قَالَ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ
وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى
نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ سورة البقرة ٢١٤ .

وفي الحديث المتفق عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا
أَذَى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ).
فإن كان هذا بشأن شوكة يُشَاكُّها المؤمن .. فلنا أن نتصوّر ما
يمنحه الله تعالى لمن ابتلوا بالتقتيلِ والجراحِ والتدميرِ والتشريدِ
والتجويعِ والتعطيشِ ..

إِنَّ الْإِيْمَانَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَالثِّقَّةَ بِصِدْقِ وَعَدِهِ عَزَّ وَجَلَّ .. يَمْنَحُ
الْإِنْسَانَ الْمُبْتَلَى .. وَالشَّعْبَ الَّذِي مَسَّهُ الضَّرُّ ثَبَاتًا وَصَلَابَةً عَلَى
مَا أَصَابَهُ .. وَفِي هَذَا خَيْرٌ تَعْزِيَةٌ وَسَلْوَى ..

وفي ما رواه مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عَجَبًا
لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا
لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ



ضِرَاءٌ صَبْرًا فَكَانَ خَيْرًا لَهُ).

وَمَنْ يُقَلِّبُ النَّظْرَ فِي أَحْوَالِ أَهْلِ غَزَّةَ .. يَجِدُ تَعْبِيرًا عَنْ هَذِهِ
الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ

وقد قيل لكهلٍ غزّيٍّ: كيف تحملون مواصلة العيش تحت
كُلِّ هذه الظروف القاهرة؟ .. السائلٌ صحفيٌّ من قناةٍ إخبارية
معروفة، فجاءت الإجابةٌ وجيزةٌ المبني بليغة المعنى عظيمة
المغزى .. نُقلها حرفياً .. يُجيبُ الرَّجُلُ رَدًّا على سؤال: كيف
بوسعكم مواصلة العيشٍ وتدبيرُ حياتِكُمْ في ظلِّ هذا الواقعِ
الصعب .. فلا موادّ تموينية متوفرة .. ولا طحين .. ولا دقيق ..
ولا وقود .. ولا غاز؟ .. يجيب الرجل بأن رَفَعَ إصبعَ السَّبَّابةِ
إلى الأعلى بطمأنينةٍ ظاهرة .. قائلاً بيقينٍ بالله تعالى: «لنا الله
.. لنا ربُّنا .. الله موجود .. هو الرزاق .. لا توجد مشكلة ..
هم يقصفون ويدمرون ويضربون .. مَنْ يَمُت - أي مَنْ يقتله
الغزاةُ المُعتدون - فهو شهيد .. يرحمه الله .. ومن يَعِشْ يُواصلُ
المشوار .. يُكمِلُ المشوار .. هُم إلى زوالٍ ونحن باقون».

إنَّ ما قاله هذا الكهلُ الغزّيُّ في موقفه العظيم وعباراته



السديدة .. هو عِظَةٌ بليغة .. ما أحوجنا إلى استلها مِها والتفكُّرِ
بها في مصاعبِ
الحياة ووعورةِ الطريق .. إيماناً و يقينا .. صبراً واحتساباً ..
تضحيةً واحتمالاً .. أملاً واستبشاراً ..

فإنَّ وَجَدنا هذا مِمَّنْ تُرْزَلُ الأرضُ من تحتِ أقدامهم كما لا
يحدثُ في أيِّ بقعةٍ أخرى على ظهرِ كوكبنا .. ووجدناه مِمَّنْ
هوتِ السقوفُ فوقَ رؤوسهم .. وفقدوا كثيراً من أحبِّتهم
وذويهم بين عَشِيَّةٍ وضُحاها .. فما عسى الواحدُ مِنَّا أن يقولَ
- ونسألُ اللهَ العافية - إنَّ أصابَهُ وَصَبٌ أو نَصَبٌ .. أو طراً
عليه هَمٌّ أو حَزَنٌ .. أو ألمٌ به أذى أو غَمٌّ ممَّا هو دونَ محنةٍ ذلكم
الرجل الغزِيّ بمراحلٍ وأشواطٍ؟! ..



«الجرائم ضدّ الإنسانية إنتهاكٌ للإنسانية
جمعاء وليس لضحاياها المباشرين. منحت
الفضائع الرهيبة التي مورست في قطاع
غزة شهادة إخفاق مؤكّدة لعالمنا في امتحانٍ
أخلاقيّ مشهود»



الموضوع الثاني

تشجيع الوحشية وتبرير الإبادة!

تصرّمت الأيام ومضت الشهور .. دون أن يُوقَفُ عالمنا
مذابح رهيبه جرت في فلسطين ..
تُرِكَتْ آلةُ الإبادة تتقدّم فوق الأشلاءِ والأنقاضِ في غزّة ..
فوق أبدان الصّغارِ والنساءِ والمسنّين والمرضى ..
شاهد العالمُ بأمّ عينيه حشود الضحايا العزّلِ وهم يقتلون
لحظةً بعد لحظةٍ بغير حقّ ..
اكتشفت الضمائرُ الحيّةُ في كلّ مكان .. ووحشيّة السياسات
التي تسمحُ بالمروق من الإنسانيّة .. وتتهاونُ مع الفظائع أو
تدعمُها وتبرّرُها .. وتعتبرُ الجاني ضحيّةً وتعدّ الضحيّة هي
الجاني ..
هي أزمةٌ أخلاقيّةٌ مُتفاقمة .. ومعضلةٌ قيميةٌ مُستعصية ..



تَحَدَّتْ عالِمنا .. وانتهكت إنسانيتنا ..
ولن يُدركَ هذه الحقيقةَ مَنْ أشاحوا بوجوههم بعيداً عما
يجري .. ألا يرون ما نرى .. أم على قلوبٍ أفاؤها ..؟!
شُقَّت الأَخاديدُ في الأرضِ كلِّ يومٍ .. لتحتوي جثامينَ الأبرياءِ
المتكوّمةَ بعضها فوق بعضٍ .. كي تصيرَ الأَخاديدُ مقابرَ
جماعيةٍ .. تحتَ سمعِ العالمِ وبصره ..
حُمِلَ المرضى فوق عرباتٍ بدائيةٍ تجرّها الدوابُّ .. بعد أن
قُصِفَت سيّاراتُ الإسعافِ وعُطِّلت ..
نُقِلَت الجثامينُ في جرّافاتٍ أو عرباتٍ شحن .. ولم يسلمَ كثيرٌ
منها من القصفِ والاستهداف ..
تُرِكَ الأَطفالُ مع أمّهاتهم وجدّاتهم .. تُرِكوا أيّاماً بليالها تحت
أنقاضٍ أُسْقِطَت فوق رؤوسهم .. تُرِكوا عالقين تحتها ليلةً بعد
ليلةٍ في الشتاء .. إلى أن تقرّحت جلودهم .. وجفّت أبدانهم ..
وانقطعت أنفاسهم .. وأسلموا الرُّوحَ إلى بارئها .. دون أن
يتمكّن أحدٌ من انتشالهم من قبلٍ ومن بعد ..
وإنك لترى طفلةً صغيرةً .. وقد نجت وحدها بعد أن سَحَقَ
القصفُ الهمجيُّ أسرتها وأجهزَ على أقاربها عن آخرهم ..



وحشية تراءت للعالم أجمع على مدار الساعة .. ثم يدعي
أربابُ هذا النهجِ الآثم .. أنها من فعل الحضارة والتحضر ..
ومن مسالك الخير والنور والإنسانية !..
إنّ درس غزّة المؤلم .. يفرض على كلّ صاحب ضمير ومبدأ
.. أن يرفع صوته كي يُنظر إلى قيمة الحياة الإنسانية والكرامة
البشرية على قدم المساواة .. كي لا يوضع بعض البشر فوق
بعض في المرتبة والحقوق والاهتمام.
وقد صار واضحاً أنّ هذا كله ما كان ليُسمح بقسطٍ منه .. لو
أنه مسّ أماً أخرى .. وكأنّ حياة البشر لا تكافأ .. وأرواحهم
لا تتساوى .. وكرامتهم لا تتعادل !..

إننا شهودٌ على هذه الاستهانة المريعة بحياة البشر وكرامة
الإنسان .. بهذه الإبادة المرئية للعالم أجمع بالصوت والصورة
والبثّ المباشر .. فهل ما أُوقِعَ على غزّة وفلسطين من الإبادة
يُقبل به في غيرها؟

سؤال مؤلم .. يفرض على كلّ حُرٍّ أن يقرع نواقيس الخطر في
عالم يتسامح مع ما يجري ويلتمس له الأعذار؟
ذبح الإنسان في غزّة في كلّ دقيقة .. وتواصل ذبحه موسماً



مديداً بحيالِهِ .. ومن نافلةِ القَوْلِ أنّ المأساةَ الرهيبةَ في قطاعِ غزة .. لم تتشكّل بفعلِ كارثةٍ طبيعيةٍ؛ فهي نتاجُ سياساتٍ ظالمةٍ .. ومواقفِ جائرةٍ .. وتواطؤاتٍ ذاتِ أثرٍ قاتلٍ ومُدْمِرٍ .. ولا ينبغي التهاوُنُ معها أو السماحُ باستمرارِها.

كيف لعالمنا أن يُشغَلَ قِيَمَهُ ومبادئُهُ ومواريقُهُ بصفةٍ انتقائيةٍ متحيّزةٍ، وأن لا تتكافأ فيه أرواحُ البشرِ .. أو تتساوى فيه حقوقُهُم وحرّيّاتُهُم وكرامَتُهُم؟

خَذَلَ النظامُ الدوليُّ شعباً مُستضعفاً اقتلَعَ قسراً من أرضِهِ وديارِهِ .. شعباً سلبَ حرّيتهُ وحقوقَهُ وسيادتهُ وفرضَ عليه الاحتلالُ والقهرُ والتشريدُ والحصارُ والعبوديةُ جيلاً بعدَ جيلٍ ..

سَمَحَ عالمنا المكلَّلُ بشعاراتِ الإنسانيّةِ والرأفةِ .. ومواريقِ الحقوقِ وكرامةِ البشرِ .. بإيقاعِ كُلِّ هذهِ المآسي وباستمرارِها وتعاضُّمِها .. سَمَحَ لجيشِ الغزاةِ بأن يهاجمَ المستشفياتَ .. ثم تركَ الأطفالَ الرضّعَ المرضى وحدهم فيها .. حتى ماتوا عطشاً وجوعاً وتحلّلت أبدانُهُم ..



سَمَحَ عالمنا لجيشِ العدوان .. بأن يستفردَ بالبشرِ الأبرياءِ
من الشيوخِ والأطفالِ والفتية .. فقتلهم في كلِّ يومٍ برصاصِهِ
الغادرِ وهم يَفْرُونَ في الطرقاتِ من القَتْلِ إلى القَتْلِ .. يلوذون
بالإبادةِ من الإبادةِ .. ثم تركَ الغزاةُ هذه الأبدانَ على قارعةِ
الطريقِ حتى تحلَّلت عن آخرِها وصارت جماجمَ متناثرةً
وهياكلَ عظيمةً تعلوها أثوابٌ مخضبةٌ بالدمِّ ..

وهذا كله قليلٌ من الفواجعِ الرهيبة التي شاهدناها بأمِّ أعيننا
.. وبعضها لا يكادُ يُصدَّقُ من بشاعتهِ وهولِهِ ..

وقد تعيَّنَ التذكيرُ في هذا المقامِ .. بأنَّ الجرائمَ ضدَّ الإنسانيةِ
انتهاكٌ للإنسانيةِ جمعاءٍ وليس لضحاياها المباشرين .. الذين
تُسلبُ حقوقهم في الحياةِ والأمانِ والحريةِ والكرامةِ الإنسانيةِ
في قطاعِ غزاةٍ أو غيره.

ومنَ العواقبِ المفزعةِ للسماحِ بهذه الفظائعِ .. أنه يَخْتَطُّ نهجاً
تبريرياً لأيِّ حملةِ إبادةٍ وتطهيرٍ عرقيٍّ وجرائمِ حربٍ وانتهاكاتٍ
جسيمةٍ .. قد يستسهلُ أيُّ طرفٍ جائرٍ في عالمنا الإقدامَ عليها
في الحاضرِ أو المستقبلِ.



إنَّ العالمَ الذي يُحدِّدُ موقِفَه منَ الفِظائِعِ طبقاً لهُويَّةِ الجاني وهويَّةِ الضحية .. هو عالمٌ لا أمانَ فيه ولا حقوقَ ولا عدالة ..

شَهِدنا مذبَحَ رهيبة .. مذبَحَ اقترَفها آلهُ حَرْبٍ وإِجرام ..
على مرأى من العالم .. شَهِدنا قُتلاً جماعياً .. تدميراً شاملاً ..
حصاراً وقهراً وتجويعاً .. والحصيلةُ هائلةٌ .. من الضحايا
الأبرياء .. آلاف الضحايا من الأطفالِ والنساءِ والمرضى
وذوي الإعاقة .. من الأطباءِ والمُسعفينِ والصحافيينِ وعاملي
المنظَّماتِ الإنسانيَّةِ الدوليَّة .. دون أن تُوقَفَ الإبادة أو تُكَبَّحَ
الجريمة ..

تسارعت حملاتُ التهجيرِ القسريِّ تحت القصفِ والتهديد ..
كي تدفعَ اللاجئِين الفلِسطِينيينَ إلى رحلةِ لجوءٍ جديدة .. ولم
يَتَصَدَّ المجتمعُ الدوليُّ لممارساتِ التطهيرِ العرقي التي جرت
تحت أسماعه وأبصاره.

حُرِّمَ شعبٌ بحَيالِهِ مقوِّماتِ الحياة .. وقُطِعَ عنه الماءُ والغذاءُ
والدواءُ والوقودُ والكهرباءُ والاتصالات .. وتُركَ فريسةً
موتٍ جماعيٍّ نهشُهُ نهشاً .. فتَكَ به قُتلاً وسَحَقاً .. عطشاً



وجوعاً .. مَرَضاً ووباءً .. حتى صارت غزّة مقبرةً للأطفال ..
مقبرةً للنساء .. مقبرةً للشيوخ .. مقبرةً للمرضى .. وصارت
مستشفياتها مدافنَ جماعية .. وموتلاً للتهلكة .. ومسرحاً
للدبابات .. ووجهةً للقصف الوحشي ..

كيف لعالم يرفعُ لواءَ الديمقراطيةِ وحقوقِ الإنسانِ وكرامةِ
البشر .. كيف له أن يتواطأ مع كُلِّ هذه المآسي .. كيف غَضَّ
النظرَ عن مأساةِ الأطفالِ الخُدجِ .. إنهم أطفالٌ وُلِدوا في
مستشفياتِ غزّةِ قبل الأوانِ فَحُبِسَتْ عنهم أجهزةُ التنفّسِ
وضروراتُ التغذيةِ .. وتُرِكَوا نهشاً للموتِ البطيءِ ..

إنها مأساةٌ واكبها العالمُ أجمعٌ بالصوتِ والصورة .. واكبها
يوماً بيومٍ وساعةً بساعة .. دون أن يتدخّل لوقف قتل هؤلاءِ
الأبرياءِ الذين قُطعت عنهم أجهزةُ التنفّسِ ومُتطلّباتُ الرّعايةِ
اللازمةِ لبقائهم على قيدِ الحياة، فشوهِدوا يموتون واحداً
واحداً.

لم تتوقّف المقتلةُ الفظيعةُ المرئيةُ عبر الشاشات .. بحقِّ أطفالِ
ونسائِ ومرضىٍ وجرحى .. ومُسنّين ومدينين أبرياء .. منحت
هذه المأساةُ شهادةَ إخفاقٍ مؤكّدةً لعالمنا في امتحانِ أخلاقيٍّ



مشهود ..

وإنَّ المرءَ ليعجب! .. فكيف للسياسةِ الأوروبيةِ والدوليةِ .. أن تتقاعسَ عن إلزامِ سُلطةِ عدوانٍ واحتلال .. بما هو مُقرَّرٌ في المواثيقِ والقوانينِ والقراراتِ الدوليةِ .. بشأنِ إنهاءِ الاحتلالِ ووقفِ الانتهاكاتِ القاتلةِ .. والكفِّ عن سلبِ الأراضي وتشريدِ السُّكَّانِ من أرضِهِم وديارِهِم وإقامةِ المستوطناتِ غيرِ الشرعيةِ مكانها.

لم يُكرَثْ بِنداءاتِ استغاثةٍ إنسانيةٍ مُتواليةٍ من غزّة .. ولم يُستمعَ لبلاغاتِ تحذيرٍ أطلقتها هيئاتٌ دوليةٌ ومنظّماتٌ حقوقيةٌ .. ولم يُلتفتَ لصيحاتِ ضمائرٍ من أنحاءِ العالمِ .. فاستمرّت المذبحةُ .. وتواصلتِ المقتلة .. وتعاظمتِ المجزرة ..

تملّكَ الذهولُ شعوباً وجماهيرَ وأجيالاً .. اكتشفت أن عالمها يسمَحُ بكلِّ هذا المروِقِ من الإنسانيةِ .. وأدركت أن منصّاتِ سياسةٍ وأبواقِ إعلامٍ تنهمكُ في تشجيعِ الإبادةِ ودعمِ المأساةِ .. وتوفّرُ الذرائعَ الساذجةَ لجرائمٍ ضدَّ الإنسانيةِ.

إنها أزمةٌ أخلاقٍ ومعضلةٌ قيمٍ .. فبأيِّ منطقٍ تُستدعى القيمُ



والمبادئ والمواثيق أو تُعطل .. بصفة انتقائية سافرة .. حسب أولويات السياسة واتجاهات المصالح؟ وكيف تُستغل بعض القيم والمبادئ بشكل سافر لتبرير الإجهاز البشع على الأبرياء؟ وكيف يُقتل الإنسان باسم الإنسانية؟ وكيف يُبث الرعب باسم السلام؟ وكيف يُجهز على الطفولة باسم الطفولة؟ وكيف سُمح لنهج الإبادة بأن يستأثر بأوصاف «الحضارة» و«التحضر» .. بشعار «الإنسانية» و«النور» .. وهو نهج آثم .. يقترف الفظائع وينتهك الحرمات .. نهج ينزع الإنسانية وينفي التحضر وينكر الأخلاق عن شعب يستهدفه بالقتل والتشريد والتدمير والترويع؟!!



«إنّها لحظةٌ كاشفةٌ في تاريخ الأمم، على عالمنا أن يتداعى فيها إلى كلمةٍ سواء، يُعلنُ فيها أن لا مكانَ في عالمٍ مُتَحَضِّرٍ لفصلِ عُنصرِيٍّ أو تطهيرِ عِرْقِيٍّ أو أعمالِ إبادة. وستكون فلسطين اختباراً عملياً لهذه المبادئ وامتحاناً مرئياً لهذه القيم».



الموضوع الثالث

مستهم البأساء والضرراء وزلزلوا

أفلح العدوانُ في القتل والتدمير دون أن ينجح في كسر الإنسان وإرادته ..
فشعبُ فلسطينَ العزيز .. أهلُ غزّةِ الكرام .. لا يركعون إلا لله الواحدِ القهار ..
شعبُ غزّة .. صارَ مثلاً في عالمنا لكرامةِ الإنسان وعِزّةِ نفسه وأصالةِ معدنِهِ وصلابةِ إرادته ..
أمّهاتٌ وآباءٌ فُجِعوا بأحبتهم لكنهم استلهموا العونَ من الله ذي القوّةِ المتين .. حمدوا الله تعالى على ما أصابهم .. ورفعوا أصواتهم بالتكبير .. وقد علّموا البشرية جمعاء بهذا الموقفِ المشهود .. دروساً مرثيةً في احتمالِ الضغوطِ واحتسابِ الفقد عند الله تعالى ..



قدّمت غزّة لنا خيرَ قدوة .. علّمتنا كيف يرتقي الواحدٌ منّا
فوق إليه وجزعه وفزعه .. وأن يستصغرَ ما يُعائشه من همٍّ أو
غمٍّ .. أو مُصابٍ أو مَرَضٍ أو عناءٍ .. فكلُّه يَهون قياساً بخبرة
طفلٍ يُتَشَلُّ من تحت الأنقاض أو مأساةٍ رضيعٍ أو فاجعةٍ أمٍّ
أو محنةٍ جدّة ..

حُقّ لنا في مجتمعاتِ الأرضِ أن نتعلّمَ من غزّة .. أن نتعلّمَ
من ناسِها .. أن نتعلّمَ من رجالها وشيوخِها .. أن نتعلّمَ من
الأمّهاتِ والجدّاتِ .. من الأطفالِ والأحفادِ .. كيف يكونُ
الصبرُ .. وكيف يكون الثباتُ .. وكيف تكون العِزّةُ .. وكيف
تكون الكرامةُ ..

نتعلّم من غزّة .. وكفى بغزّةٍ مُعلِّماً لمن طَلَبَ الدرسَ ..
وكفى بغزّةٍ واعِظاً لمن طَلَبَ الوعظَ ..
هي تُعلِّمنا ما لا يُعلِّم في المدارس .. وما لا يُعرِّضُ في المعاهد
.. وما لا يُدرِّسُ في الجامعاتِ ..

هي تُشعّ علينا من هناك .. من وراءِ الأسوارِ .. من قلبِ
الأشلاء .. من فوقِ الأنقاضِ .. من بينِ الأطلالِ .. من بينِ



المقابر الجماعية .. تُشعّ علينا بمعنى الثباتِ في زمنِ التردّي ..
بمعنى العزيمة في زمن الانكسار بمعنى الارتقاء في زمن
الانحدار .. بمعنى الإصرار في زمن التهاؤن .. بمعنى الرّصانة
في زمن التفاهة ..

هي تُلقِّننا .. وتلقِّنُ أممَ الأرض .. وأجيالَ العالم .. دروساً في
الحرّية .. التي ترتبُ على العبودية .. دروساً في الكرامة .. التي
تستعلي على المهانة .. دروساً في الاحتمال .. الذي يتأبى على
الانكسار ..

هي غزّة .. التي تحتسب آلامها وأوجاعها عند الله .. فلا
تلتفتُ إلى جراحِ غائرة ولا تبتئس لأنقاضٍ متراكمة .. وإن
انهمرت الدموع على أحبةٍ من الصّغارِ والكبار .. يفتكُ بهم
عدوانٌ وحشيٌّ وَجَدَ مَنْ يشجّعونه ويؤيدونه ويبررونَ فظائعه

..

لكنّها غزّةُ العزيمةِ الشاخرة .. كم دمّرَ العدوانُ بيوتها
من قَبْلُ .. فابتنّتها غزّةٌ من بعدُ صابرةً محتسبةً .. كم سُحِقت
منازلها فارتفعت من جديدٍ شاخرةً فوق ما كانت عليه .. كم



قُصِفَتْ مَسَاجِدُهَا وَقُبَابُهَا وَمَآذِنُهَا .. فَشِيَّدَتْ مِنْ جَدِيدٍ لِيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ..

إِنَّمَا غَزَةٌ وَهَذَا حَالُهَا .. جَوْلَةٌ بَعْدَ جَوْلَةٍ .. وَإِنْ عَادَ الْغَزَاةُ إِلَى التَّدْمِيرِ عَادَتْ هِيَ إِلَى التَّعْمِيرِ .. غَزَةٌ تُحِبُّ الْحَيَاةَ .. لَكِنَّهَا تَحِبُّهَا حَيَاةً حُرَّةً وَتُرِيدُهَا حَيَاةً كَرِيمَةً وَتَطْلُبُهَا حَيَاةً عَزِيزَةً .. غَزَةٌ تَحِبُّ الْحَيَاةَ الَّتِي تُسَلِّبُ مِنْهَا بِالْقَتْلِ وَالْعَطَشِ وَالْجُوعِ وَالْمَرَضِ وَالْوَبَاءِ .. لَكِنَّهَا لَا تُفَرِّطُ بِالْحَقُوقِ وَلَا تُسَاوِمُ عَلَيْهَا .. غَزَةٌ تُعَلِّمُنَا .. أَنْ لَا نَبْتَسِسَ .. وَإِنْ مَسَّتْنَا الْبِأَسَاءُ وَالضَّرَاءُ .. أَنْ لَا نَجْزَعَ .. وَإِنْ بَلَغَتْ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَزُلْزَلْنَا .. هِيَ الَّتِي أَدْرَكَتْ مَعْنَى «اللَّهُ أَكْبَرُ» كَمَا لَمْ يُدْرِكْهَا آخَرُونَ .. فَتَقْرَمُ جَبْرُوتُ الْعُدْوَانِ فِي عَيُونِ صِغَارِهَا .. هِيَ الَّتِي تَسْتَمِدُّ قُوَّتَهَا مِنَ الْقَوِيِّ الْمَتِينِ .. فَصَارَ ضَعْفُهَا الْمَشْهُودُ مَارِدًا مِنَ الْإِرَادَةِ .. بِعَوْنِ اللَّهِ وَمُدَدِهِ.

يَا لَأَمَّهَاتِ غَزَةِ الشَّامَخَاتِ .. وَقَدْ أَدْرَكَنَّ أَنْ الْحَرِيَّةَ تَنْتَصِرُ بِثَبَاتِهِنَّ .. وَأَنَّ الْعَدَالََةَ تَتَحَقَّقُ بِاحْتِسَابِهِنَّ .. فَآلَةُ الْحَرْبِ الْوَحْشِيَّةُ طَارَدَتْ أَطْفَالَهَا مِنْ فَرَطِ خَيْبَتِهَا .. وَمَنْ يَسْفِكُ



دماء الأبرياء يوماً بعد يوم .. ولحظةً بعد لحظة .. في غارات
القصفِ الهمجيّ .. مهزومٌ بلا ريب .. فسيخسر جولةً الدُّنيا
قبل مالِ الآخرة .. وإن أوتي آلةَ الفتكِ والتدمير.
قولوا لأعداءِ الحياة .. إن سَحَقْتُمُ الأبدانَ فلن تنزعوا الإيمان
ولن تكسروا الإنسان .. هي الأجساد التي تَسْقُطُ وليست
الإرادة .. يسقط الجسدُ وترتقي الرُّوح .. وإِنَّا لَنَحْسَبُ أَنهم
أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون.

وَمِنَ عَجَائِبِ الزمانِ أَن يَقولَ الأَدعياءُ .. إِنَّ التَّوْحُشَ الَّذِي
يَصُبُّونَهُ حِمماً عَلَى رُؤوسِ الأَطفالِ والنِّساءِ والمرضى فِي غزاةٍ ..
هُوَ رَدُّ العالَمِ المُتَحَضِّرِ عَلَى أَعْداءِ الحضارةِ !..

أَيُّ منطِقٍ هَذَا؟

أَيُّ إِساءةٍ لِلحَضارةِ .. أَن تُستعمَلَ حُجَّةٌ لِلتدميرِ؟!

أَيُّ إِهانَةٍ لِلإنسانيةِ .. أَن تُوظَّفَ ذريعةٌ لِلتقتيلِ؟!

أَيُّ ازدراءٍ لِلسَّلامِ .. أَن يُتَّخَذَ سِتاراً لِلعدوانِ؟!

إنَّها لحظةٌ كاشفةٌ فِي تاريخِ الأُمَّمِ .. على عالِمنا أَن يتداعى فِيها
إلى كلمةٍ سِواءِ .. يُعلِنُ فِيها أَن لا مكانَ فِي عالَمِ مُتَحَضِّرٍ لِفُضْلِ
عُنصرِيّ .. أو تطهيرِ عِرقيّ .. أو أعمالِ إبادة. وستكون فلسطين



اختباراً عملياً لهذه المبادئ .. وامتحاناً مرئياً لهذه القيم .
تعالوا إلى كلمةٍ سواء .. تُعلَى فيها العدالة .. وتُنصَرُ فيها الحرِّيَّة
.. تُصانُ فيها الدِّماء .. ويُساوَى فيها بين البشر .

جُعِلَ قطاعُ غزةَ .. سجناً للبشر .. لشعبِ اللاجئِين .. لمليونِ
طفلٍ مع أمهاتهم .. بعد أن أُخرج هذا الشعبُ من ديارهم
بغيرِ حقٍّ ... شَرَّدتهم النكبةُ المريعةُ .. نَزَعَ التطهيرُ العرقيُّ
منهم الأرضَ والديارَ سنةً ثمانيةً وأربعينَ وتسعمائةً وألفَ ..
صَدَرَت لهم ولشعبهم قراراتُ الأمم المتحدة .. التي تُؤكِّدُ
حقَّهم في العودةِ إلى أرضهم وديارهم .. دون أن تتصرَّ لهم
قوى العالمِ أو تتَّصِفَ .. صارت مخيماتهم المكتظةُ سجناً مؤبداً
.. حوصروا فيه بين أسوارٍ عالية .. وساومهم الحصارُ على
قوتِ يومهم وجرعةِ دوائهم .. دون أن يُفْلِحَ في كسرِ عزيمةِهم
على إحقاقِ الحقِّ .. أو تبديدِ إرادتهم على استردادِ العدالة ..
أو كَبْحِ إصرارهم على دَفْعِ الظُّلمِ والعدوان .. إنَّها حكايةٌ لا
يَطمِسُها التزييف .. إنَّها روايةٌ لا يُغيِّبها التضليل .. فهل من
أمَّةٍ في عالمنا ترضي عيشاً بلا حقوقٍ أو حياةً بلا كرامة؟ .. أو
مستقبلاً بلا عدالةٍ أو أفقاً بلا حرِّيَّة؟



عجباً لمن نَحَتوا للحرية التماثيل .. وشيّدوا لها الصُّروح .. ثمّ
تسابقوا إلى خذلانها في فلسطين! عجباً لمن تغنّوا بانتصار أمهم
ثم يخذلون شعباً يطلبُ حرّيته!

تهتفُ جماهيرُ العالم في كلِّ مكانٍ حُرّيةً لفلسطين .. فتمنحُ
عالمنا بصيصَ أملٍ بأنّ الضمائر حيّة .. والقلوب نابضة .. وأنّ
التزييفَ لا ينطلي على ذوي الأفهام والأفئدة والضمائر .. ومن
واجبنا جميعاً .. في هذه البلاد وفي هذا العالم .. أن ندورَ مع
الحقِّ حيث يدور .. وأن نمثّل للعدل في القول والعمل ..
فالسكوتُ عن القتل يُشجّعهُ .. والصمتُ على القهر يُفاقمهُ
..

ونقول لغزّة العزّة .. ولأهلها الكرام الشاخصين الثابتين ..
يا أهل غزّة! .. يا أهل غزّة! .. استبشروا ببيعكم الذي بايعتم
به .. وذلك هو الفوز العظيم ..
صبراً آل غزّة .. إنّ موعدكم القدس .. إنّ موعدكم العودة ..
إنّ موعدكم الحرية .. والله الأمرُ من قبلُ ومن بعد ..
يا أهل غزّة! .. أيقظتم في عالمنا سؤال الأخلاق .. كشفتم أزمة
القيم ومازق المبادئ .. سقط حاملو الشعارات وارتفعتم أنتم



بإيمانكم الراسخ وثباتكم الملهم وعزيمتكم الصلبة ..
إن خذلتكم هيئات الأمم .. فلن يخذلكم من يلتزمون المبادئ
والأخلاق والإنسانية .. من الناس كافة ..
يا أهل غزّة! قلوبنا معكم .. وجداننا معكم .. مع كل طفلٍ
سَحَقَهُ القصف .. مع كل رضيع انتشل من تحت الأنقاض
.. مع كل أمّ فُجِعَت بأحبّتها ولا تقول إلا ما يُرضي ربّها ..
مع كل طيبٍ ومسعفٍ أنقذ الأرواح في هذه المذابح الرهيبة
ولم يجد وقتاً لنومه أو أداة لاشتغاله .. قلوبنا مع كل صحفي
قُتِلَ ومع كل مراسل أُبِيدت أسرته .. ثم واصل أمانة البلاغ
ليكشف الحقيقة ويبدد الزيف ..



«التقاعسُ يُشجّعُ المجازرَ، والغفلةُ تُوجِّحُ
المذابحَ، والسكوتُ يُفاقمُ الإبادةَ، والخمولُ
يُحفِّزُ العدوانَ، ومَن يساندُ جرائمَ الحربِ
يَصيرُ شريكاً في الإثمِ والخطيئة.»



الموضوع الرابع

فضائعُ غزّةٍ تتحدّى مبادئَ عالمنا

فقد عشنا موسماً مديداً مع غزّةٍ وفلسطين .. عشنا أحداثه
وشاهدنا صُورَه .. سمعنا صوتَ غزّةٍ وأحسّنا بنبضِ
فلسطين ..

نقلتنا المشاهدُ الحيّةُ إلى غزّةٍ .. فرأينا الأهوالَ رأْيَ العَيْنِ ..
ففي كُلِّ لحظةٍ .. أسرُّ أَيْدَتِ .. ومساكِنُ سُحِقَتِ .. وفضائعُ
توالَتِ ..

انْتَشِلَ الرّضِيعُ حَيًّا .. وأهلُه تحت الرُّكامِ ..
فقدَتِ الطّفلةُ عَيْنِهَا .. ولا زالت تحسبُ أمّها غشاوةً عابرةً ..
رأينا ناجينَ من قصفِ أتى على أحبّتهم وذوئهم جميعاً ..
واكبنا القصفَ الذي ترصد الأهالي في كُلِّ شارعٍ وفي كُلِّ رُكنٍ
.. وحتى في المساجِدِ والكنائسِ والمشافي والمخابزِ .. قصفٌ



لأحق الصحفيين وطارِد النازحين وتَعَقَّب المُسْعِفِين ..
وفي غزّة لا مكانَ لدفنِ الشهداء .. فالخيارُ هو المقابرُ الجماعيةُ
التي تتزاحمُ فيها الأبدانُ المغدورة ..
وفي غزّة لا وَقْتٌ للعزاء .. فالضحايا تلاحقوا والجنّامينُ
تعاقبت .. ومَن اجتمعوا للعزاءِ ظلّوا هدفاً لِقَصْفِ وَحشيٍّ
ألحقَهُم بِمَن سَبَقُوا ..
إنّ ما جرى في غزّة .. يُزلزلُ الضمائر .. ويهزُّها هزّاً ..
فإبادةُ هذا الشعب .. جرت تحت أَسْماعِ العالمِ وأبصاره ..
تسارعت بالصوتِ والصُّورةِ والبَثِّ المباشر ..
ثمَّ وَجَدْنَا فريقاً من النَّاسِ انحازَ إلى الظُّلمِ والعدوان ..
ووجدنا فريقاً آخرَ لا يَكْتَرِثُ بما يجري ولا يَلْتَفِتُ إليه ..
وينبغي أن يُقالَ لهؤلاءِ وهؤلاءِ .. إنّ التقاعسَ يُشجّعُ المجازر ..
والغفلةَ تؤجِّجُ المذابح .. والسكوتُ يُفاقمُ الإبادة .. والخمولُ
يُحفزُ العدوان .. ومن يساندُ جرائمَ الحربِ يصيرُ شريكاً في
الإثمِ والخطيئة ..

أيُّ عالمٍ هذا الذي نعيش فيه .. الذي يَسْمَحُ بإلقاء ما يعادلُ



عدّة قنابل نوويةٍ على بُقعةٍ من الأرضٍ يعيش فيها مليون
طفل؟!!

موسمٌ مديدٌ من الإبادة .. ولم يتحرّك في ساسةِ القرارِ العالميِّ
حِسٌّ ظاهرٌ ولا ضميرٌ يقظ .. بل شاهدنا الضحيةَ تُلام ..
والمعتدي المحتلُّ يُشجّع ويباركُ صنيعه ويُحتفى به ..
كم من الضحايا يحتاج الغافلون ليستيقظوا .. والساكتون
ليَنطِقوا .. والخاملون ليتحرّكوا .. والقاعدون لينهضوا؟
تواصلت الإبادةُ على مرأى من العالم ومسمع .. وتجلّت
معها حقائقٌ مؤلمةٌ .. فقد تبينَ أنّ قيمةَ الحياةِ الإنسانيةِ ليست
متساويةً في منطِقِ عالمنا .. وأنّ الكرامةَ البشريةَ لا تتكافأ في
منظورٍ واقعنا .. وأنّ الاكتراثَ بالضحايا الأبرياء يجري بصفةٍ
انتقائيةٍ لا يمكنُ سترُها .. وأنّ بعضَ البشرِ ما زالوا يُوضعونَ
فوقَ بعضٍ في المرتبةِ والحقوقِ والاهتمامِ .

وقد صار واضحاً أنّ السياسةَ الدوليةَ سمحت بكلِّ هذا
الرُّعبِ القاتلِ .. وشجّعت ترويعَ شعبٍ من اللاجئين ..
المحرّومين من حقّهم المؤكّد في الحريةَ وتقريرِ المصيرِ والحياةِ



الكريمة .. سياساتٌ ومواقفٌ حرّضت على حملة الإبادة
وشجّعت التطهير العرقي .. أو تهاوَّنت مع الفظائع وأطاحت
بالقوانين والمواثيق والشرائع.

إنّ عالماً يُقرّر تشغيل قيمه ومبادئه حسب الأهواء والمصالح
.. إنّ عالماً لا تتكافأ فيه أرواح البشر أو تتساوى فيه حقوقهم
وحرّياتهم وكراماتهم؛ .. هو عالمٌ جائر .. لا يمثّل لشعاراته ..
ولا يلتزم بمواثيقه .. هو عالمٌ يُبحر بعيداً عن السلم والأمان.
خذّل عالمنا شعباً مُستضعفاً .. شعباً اقتلع من أرضه ودياره
.. سلب حرّيته وحقوقه .. فرض عليه الاحتلال والقهر ..
والتشريد والحصار ..

إنّ خطابات التبرير التي سُمعت من منصات دولية خلال
حرب الإبادة .. تكفي مثلاً لإيقاع مقتل رهبة بأيّ شعبٍ
على وجه الأرض .. فمنطقها هو منطق الإبادة والتطهير
العرقي .. منطق يُبرّر العدوان ويمجدُّ مُقرّفه ويلومُ ضحاياه
.. أيّ منطق هذا الذي يُحمّل الضحايا المسؤولية عن مصيرهم
المُرعب .. قتلاً وسحقاً وتعطيشاً وتجويعاً وتشريداً .. ويُبرئ



الجاني ويلتمس له الأعدار؟

إنّ الفظائع الرهيبة التي جرّت على مرأى من العالم ومسمع
بحقّ أكثر من مليوني إنسانٍ في قطاع غزة .. معظمهم من
الأطفال والنساء .. تمثّل تحديّاً للعالم أجمع، وتتطلب يقظةً
إنسانيةً عاجلة .. قبل فوات الأوان.

إنّ هذه المحنة الرهيبة .. ألقت علينا بمسؤولياتٍ مؤكّدة: ..
.. في أن نكون صوتاً لشعبٍ مقهور .. صُبّت حمم القتل فوق
رؤوسه على مدار الساعة ..
.. في أن نكون صوتاً للحقوق .. صوتاً للعدالة .. صوتاً
للإنسان وكرامته ..
كونوا عوناً للضحايا من حولكم .. كي تنهض من سباتها
وتتحرك من غفلتها ..
ليس غاية التعاطف أن نشاهد المأساة ونذرف الدمع .. بل
أن نجعل هذا الحسّ السويّ .. وهذه العاطفة النبيلة .. دافعاً
لإنصاف فلسطين ومساندة شعبها .. وحافزاً لرفع المظلمة
عن غزة وأهلها ..



كان الناس في ما مضى يسمعون بما جرى بعد فواتِ أوانه ..
لكنّ عالمنا اليومَ يرى الأحداثَ أولاً بأوّل .. ويواكبها في زمن
وقوعها لحظةً بلحظة .. وهذا يَفْرِضُ على الناسِ جميعاً أن
يُدركوا مسؤولياتهم في الامتثالِ لمقتضياتِ الحقِّ والعدل .. وأن
يتداعوا إلى وَقْفِ آلةِ العدوانِ التي تمارسُ الإبادةَ والتطهيرَ
العرقيّ .. بحقِّ شعبِ فلسطين .. الذي يَطْلُبُ حَقَّهُ وَيَنْشُدُ
حريتهُ كغيره من الشعوب ..

وإننا إذ نذكُرُ غزّةَ اليوم .. وقد عشنا معها بأفئدتنا التي
تحترقُ كمدّاً على أطفالها ونسائها وشيوخها ومرضاها وأهلها
أجمعين .. فإننا نرى في هؤلاء الكرامِ الشاخين .. نرى فيهم
أُسوةً حسنة .. في الصبرِ والاحتساب .. والثباتِ والعزيمة ..
والشهامَةِ والتكافل .. والإرادةِ التي لا تنكسر .
ففي غزّة .. تُسحَقُ الأبدانُ ولا يُهزَمُ الإنسان .. يُهدَمُ البنيانُ
ولا يُنزعُ الإيمان ..

لا عَجَبَ أن تنتصبَ غزّةُ اليومَ مثلاً ساطعاً لشعوبِ الأرض
.. في عِزّةِ أهلها وأصالةِ معدنها .. في ثباتها المذهلِ رغمَ القصفِ



والترهيبِ والترويعِ .. والله غالبٌ على أمرِهِ ولكنَّ أَكثَرَ النَّاسِ
لا يَعْلَمُونَ.



«تنتصبُ غزّةٌ، بأشلائها ودمائها وأنقاضها،
شاهداً جليلاً على سَطوةِ الظلم، وخطِرةِ
العدوان، وبشاعةِ القتل، ومرارةِ الخذلان».



الموضوع الخامس

شهود على وحشية العدوان

فقد شاء الله تعالى أن نكون شهوداً على آلة العدوان .. وهي
تفتك بعشرات ألوف الأبرياء .. من الرضع والأطفال ..
من النساء والفتيات .. من المرضى والمسنين .. تفتك بأخواتنا
وأخوتنا .. بناتنا وأبنائنا .. بأمهاتنا وآبائنا .. الذين هم أفدئنا
التي تخفق .. ومشاعرنا التي تنبض .. رأيناهم يسحقون بنيان
القتل ويحرقون بقذائف الحقد .. ساعة بعد ساعة .. لحظة بعد
لحظة ..

يا لو وحشية العدوان .. الذي سفك دماء الأبرياء .. أهلك الحرث
والنسل .. سحق البشر والحجر .. أمطر الأطفال في مضاجعهم
بحمم النار .. أحال العجائز في مراقدهم إلى أشلاء ودماء .. ثم



وجدنا الحفاوة الآثمة بجيش الاحتلال والقتل والعدوان على
مرأى من العالم ..

هي الفظاعة عيُّها .. التي حرَّمت أكثر من مليوني إنسان ..
معظمهم أطفال ونساء .. حرمتهم شربة ماء .. وكِسرة خُبز ..
ولُقمة غداء .. وجُرعة دواء .. هي الفظاعة عيُّها .. إذ قطعت
عن هؤلاء الأبرياء شرايين الحياة .. كي يموت شعبٌ بحيايهِ
عطشاً وجوعاً .. ومرضاً ورُعباً .. وترويعاً وقهراً ..

تلاحقت هذه الوقائع التي يندى لها جبين الإنسانية .. لكنَّها لم
تجد سبيلها إلى مَنْ عَمِيَتْ قلوبُهُم وغابت ضمائرُهُم .. فإيَّها لا
تعمى الأبصار .. ولكِنْ تَعْمَى القلوبُ التي في الصُّدور ..
غابت الضمائرُ وحضر التحريض .. تحريضُ سافرٍ على شعبِ
فلسطين .. على الشعبِ المظلوم .. الذي سُلِبَتْ حقوقُهُ ..
وانتزعت أرضُهُ .. واغتُصبت ديارُهُ .. وشُرِّدت أجيالُهُ ..
ودنَّست مقدَّساتنا ومقدَّساته .. إنَّه الانحياز الأعمى .. الذي
يَضَعُ الضحيَّةَ في مَوْقعِ المعتدي .. والمُعْتَدِي في مَوْقعِ الضحية .
ومن فظائع الإِجرام .. تلكمُ الجريمةُ النكراء .. التي أحرقت



أفدتنا المكلومة .. تَلُكُم المذابح الرهيبة .. التي أجهزت بكلِّ
بشاعة على أجسادِ غُضّةٍ احتمت بالمستشفيات .. فتكت
بالأطفال والنساء .. والمرضى والمُقعدين .. حتى صاروا أشلاءً
مُتناثرة .. ثمَّ وجدتُ الجرائم الوحشية من حاول طَمْسَها
وباشر تزييفها .. وسعى إلى تجَاهلِها ومضي إلى تبريرِها .. لتكتمَل
حلقاتُ الظُّلم والقَهْرِ والبطْش .. التي تُحْكِمُ خناقها على شعبِ
فلسطين ..

هكذا تنتصبُ غزّةُ اليوم .. بأشلائها ودمائها وأنقاضِها .. شاهداً
جليّاً على سَطْوَةِ الظُّلم .. وخطرِ سَةِ العدوان .. وبشاعةِ القتل ..
ومرارةِ الخُذلان .. وإنّ هذا يؤكِّد من جديد .. أنّ فلسطين ..
المظلومة الجريحة منذ قرن من الزمن .. تمّتحنُ عالمنا في مبادئه
وقيَمِه .. وفي التزامه بمواثيقه وشعاراته ..

أيُّ معنى للحقوق .. وهي تُداسُ في فلسطين المحتلة .. باسم
التحضرِّ!

أيُّ معنى للحرّيّة .. وهي تُخنق في غزّة والضفّة والقدس .. باسم
المدنية!

أيُّ معنى للعدالة .. وجرائمُ الحرب البشعة تتعاضمُ دون مُساءلة



أو مُحاسبة!

أيُّ معنى للمساواة .. وقيمة الحياة في عالمنا لا تتكافأ .. فتضع
بعض البشر فوق بعض، وتُسبغ أوصاف الديمقراطية على
الفضلِ العُنصري!

أيُّ معنى للنزاهة .. وقد صارَ التزييفُ سياسةً .. والكذبُ
إعلاماً! زعموا قطعَ الرؤوس كي يقطعوا الرؤوس .. أيّ
تضليلٌ هذا الذي يجري على حساب أرواح الأبرياء!
أيُّ معنى للتحضُّر .. وباسمه تستباحُ الدِّماءُ وتُزهقُ الأرواح!

كشفت هذه المقتلةُ الرهيبةُ لعالمنا .. عبثَ العابثينَ بالقيَم ..
وفضحت الاستهانةَ بالمبادئ .. كشفت أزمةَ أخلاقٍ مُستفحلة
.. أباختَ للمحتلِّ المعتدي .. أن يقصِفَ المُستشفياتَ والعيادات
.. وأن يحرقَ المنازلَ والمدارس .. وأن يستهدفَ الأسواقَ والمخابز
.. وأن يدكَّ المساجدَ والكنائس .. ومنها كنائسُ وأديرةٌ قديمةٌ في
غزّة صارت أنقاضاً على مَنْ احتموا بها من هذا الشعب المكلوم
.. ثمَّ يُحمّلُ أهلَ غزّة مسؤوليةَ عن العدوان الذي يستهدفهم!
أما آن للضمايرِ أن تستيقظ .. بعد الإبادة المشهودة ضدَّ المدنيين



في غزّة .. الذين سُحِقُوا سَحِقاً .. أو حُرِّقُوا حرقاً .. فعَلت
آلةُ العَدوانِ والإبادةِ فَعَلَهَا بالبشرِ .. لَكِنَّهَا عَجَزتْ عن كَسْرِ
إرادتهم في الحريّة والكِرامَةِ ..

على كُلِّ مُسلمٍ ومُسلمَةٍ .. على كُلِّ إنسانٍ حرٍّ .. على كُلِّ صاحبِ
ضميرٍ .. أن يَرَفَعَ صَوْتَهُ أينما كان لأجلِ الحَقِّ والعدْلِ وكِرامَةِ
الإنسانِ .. التي تُسَحِّقُ وتُزهِقُ وتُستَباحُ .. علينا وعلى غيرنا ..
رفعِ الصَوْتِ ضدَّ هذهِ الفِظائِعِ .. ضدَّ هذا المَروقِ مِنَ الإنسانيّةِ
.. ضدَّ غطرسةِ القوَّةِ واستِعلاءِ العَدوانِ .. فوقِ الحَقِّ والعدْلِ
والحريّةِ ..

لا تَنسُوا شعبَ فلسطينِ أيُّها الأُخوةُ .. لا تَنسُوا أطفالَ غزّةِ
ونساءها .. وكبارها ومرضاها .. لا تَنسُوا أحرارها تحتِ
القصفِ .. لا تَنسُوا أخوتكم وأخواتكم .. كونوا معهم بقولكم
وموقفكم .. بقلوبكم وعقولكم .. بدُعائكم وعطائكم .. كونوا
معهم في هذا المنعطفِ الذي سيذكره التاريخ .. كونوا معهم
.. واجمعوا حاملي الأُفئدةِ والضمائرِ مِنَ الناسِ كافّةً على كلمةٍ
سواءٍ مِنَ الحَقِّ والعدْلِ ..





« لا خَيْرَ فِينَا اِنْ لَمْ نَقُلْهَا ..
وَلَا خَيْرَ فِيهِمْ اِنْ لَمْ يَسْمَعُوهَا ».





الموضوع السادس

أهوال الإبادة وأسئلتها الإنسانية

فقد عاش العالم أهوالاً منقولةً من غزة .. عاشها موسماً
مديداً من القتل الجماعي المتواصل على مدار الساعة .. عاشها
مذبحةً تلو مذبحة .. مقتلةً تلو مقتلة .. فظاعةً بعدَ فظاعة
.. تعاظمت الحصيلة .. وتصاعدت الأعداد .. حتى بلغت
عشرات الألوف من البشر .. أزهِقت أرواحهم في زمنٍ قياسيٍّ
بغير وجه حق .. معظمهم من الأطفال والنساء .. وأمثالهم
طُمرُوا تحت أنقاضٍ متراكمة .. ولا سبيلَ لانتشالهم ..

تسارعت المذابحُ الرهيبة التي لَن تُمحي من ذاكرةِ البشر ..
وبين إقامة صلاة و جلسة تشهد سُحقت أسرة .. أو دُمِّر بيتٌ
.. أو أُسقطت حُمولةٌ من المتفجراتِ فوق جموعِ الداهلين .. أو
أُبيد حيٌّ سكنيٌّ بمن فيه ..



إِنَّ الأَبْدَانَ لَتَتَفَضُّ مِنْ هَوْلِ مَا سُمِعَ ..
إِنَّ الوَجْدَانَ لَيَتَزَلَّزَلُ مِنْ وَقَعِ مَا سُوهِدَ ..
إِنَّ الفُؤَادَ لَيَتَفَطَّرُ مِنْ فَطَاعَةِ مَا اقْتُرِفَ ..
إِنَّ اللِّسَانَ لَيَعْجِزُ عَنِ وَصْفِ مَا ارْتُكِبَ ..
هي الإنسانيَّةُ التي ذُبِحَتْ فِي غَزَّةَ ..
هي المبادئُ التي نُحِرَتْ فِي غَزَّةَ ..
هي القيمُ التي سُحِقَتْ فِي غَزَّةَ ..
هي المواثيقُ التي أُسْقِطَتْ فِي غَزَّةَ ..

وقد تَعَيَّنَ عَلَى كُلِّ صَاحِبِ ضَمِيرٍ .. عَلَى كُلِّ صَاحِبِ قَلْبٍ
.. عَلَى كُلِّ صَاحِبِ مَبْدَأٍ .. أَيًّا كَانَ دِينُهُ وَلَوْنُهُ وَمَوْطِنُهُ .. أَنْ
يُسَمِّيَ الأَشْيَاءَ بِأَسْمَائِهَا .. أَنْ يَصِفَ الوَاقِعَ كَمَا هُوَ .. فَمَا جَرَى
فِي قِطَاعِ غَزَّةَ .. هُوَ حَمَلَةٌ وَحَشِيَّةٌ لَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ .. هِيَ حَمَلَةٌ
إِبَادَةٍ جَمَاعِيَّةٍ لَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ .. هِيَ جَرِيمَةٌ ضِدَّ الإنسانيَّةِ
وَلَا رَيْبَ فِي ذَلِكَ .. مَذْبَحَةٌ رَهِيْبَةٌ ضِدَّ شَعْبِ بِحْيَالِهِ .. ضِدَّ
حَشَوْدِ الأَطْفَالِ والنِّسَاءِ والشُّيُوخِ والمرضى وذوي الإعاقة ..
ضِدَّ الأَطْبَاءِ والممرِّضينَ والمُسْعِفِينَ .. ضِدَّ عاملي الوكالات
الإنسانية الدولية .. ضِدَّ الصحفيين وحاملي الكاميرا وناشطي



الشبكات .. ضدّ العلماءِ والأئمّةِ والخطباءِ ورجالِ الكنيسةِ
والراهباتِ .. ضدّ حافظي القرآنِ الكريمِ والحافظاتِ .. ضدّ
الذاكرينَ اللهَ كثيراً والذاكراتِ ..

إنها جريمةٌ ضدّ الإنسانيةِ .. تُوجع الضمائرَ .. إذ ألقت بِجَمَمِ
النَّارِ فوق رؤوسِ أطفالِ نِيامٍ .. ودفنت الرُّضْعَ تحت الرُّكامِ
.. أسقطت السقوفَ فوق الأمّهاتِ والجَدَّاتِ مع أطفالهنَّ
وأحفادهنَّ ..

هي جريمةٌ ضدّ الإنسانيةِ .. استهدفت الأعيانَ المدنيّةَ التي
تُخدِمُ الأهالي .. ضربت المستشفياتَ والعياداتِ والصيدياتِ
.. ودمّرت مرافقَ الحياةِ ومواردَ المعيشةِ .. ولم تسلم منها
المخابِزُ والمتاجرُ والأسواقُ ومَن يتزاحمون حولها ..
هي جريمةٌ ضدّ الإنسانيةِ .. لم ترَحِمَ بَشَراً ولا شَجَراً ولا
حَجَراً .. ولم يسلمَ منها حيوانٌ ولا زَرْعٌ ولا مَوْرِدُ ماءٍ ..

ثمّ بلغت الوحشيةُ مبلغها .. في دعاوى الإبادةِ الشاملةِ التي
لم تظمأ بعد من دماء الأبرياء .. دعاوى شائنة تصاعدت
ضدّ شعبِ فلسطينِ .. حتى سمعنا التهديدَ العلنيَّ من وزيرِ



متطرفٍ في حكومة احتلالٍ وعدوان .. سمعناه يتوعدُّ مليونين
وثلاثَ مليونِ إنسانٍ في قطاع غزة .. بإلقاء قنبلة نووية على
رؤوسهم !!

هي جريمةٌ ضدَّ إنسانيتنا جميعاً .. جريمةٌ ضدَّ مبادئنا نحن
البشر .. جريمةٌ ضدَّ قيمنا ..

أما من يحترفون صرْفَ الأنظار عنها .. أو التماس الأعدارِ
لها .. أو التهوينَ من فظاعتها .. فإنما يُشجِّعونها لتواصل
القتلَ والتدمير .. والفتكَ والتهجير .. ونقولُ لهؤلاءِ الآثمين
وهؤلاءِ الجائرين .. وبعضهم زعماءُ دُولٍ وصانعو قرارٍ وقادةُ
رأيٍ ومتحدِّثو شاشاتٍ، نقول لهم: .. كم عدد الضحايا الذي
يُرَوِّي ظمأكم ويشفي غليلكم؟ .. كم ألفِ طفلٍ آخرٍ من
الضحايا تريدون أيضاً .. كي تتحرَّك ألسنتكم أخيراً بقولِ
كفى لكلِّ هذا القتل؟ كم من المجازر والمآسي تطلبون .. كي
تمنحوا ضمائركم الحبيسةَ فرصتها البوح بأن تقول كفى؟
ما الذي يبقى من إنسانيتنا .. إن أغمضنا عيوننا عن قتلِ
المرضى والنازحين في المستشفيات؟ .. وترويع الأطفال والنساء
والجرحي المكتظين فيها؟



ما الذي يَبْقَى من شعاراتِ عالِمنا .. إن أُبِيحَ للمُعْتدي الغاشِم ..
المدججِ بِآلَةِ الحربِ الفتَّاكَةِ .. إن أُبِيحَ له تدميرُ المساجِدِ .. وقصفُ
الكُنائسِ .. واقتِرافُ المذابِحِ الشنيعةِ بحقِّ المُحتمينِ بها؟
ما الذي يَبْقَى من موثِيقِ الأممِ وشرائعِ العالمِ .. إن واصلَ قَادَةُ
وساسَةُ وصانعو قرارِ .. تشجيعِ الإبادةِ .. ودعمَ العدوانِ .. وتبريرِ
الفظائعِ .. وتسويغِ التدميرِ؟

ما الذي يَبْقَى من حِسِّ وضميرِ .. إن لم تجرؤْ دولُنَا الأوروبيَّةُ
والغربيَّةُ .. على أن تَضَعَ حدًّا فوريًّا .. لقطعِ المَاءِ والغذاءِ والدواءِ
والكهرباءِ والوقودِ ورمقِ الحياةِ .. عن هذا الشعبِ؟ وأن تَضَعَ حدًّا
فوريًّا لإمدادِ العدوانِ بِأسلحةٍ تَقْتُلُ وذخائرَ تَفْتِكُ؟
لا خيرَ فينا إن لم نَقْلُها .. ولا خيرَ فيهم إن لم يسمعوها ..
تأبى عيونُنَا أن تُغْمَضَ .. وشعبُ فلسطينِ يُذَبَحُ .. وأطفالُه الأبرياءُ
يُقْتَلون تفتيلًا .. وأمّهاتُه الكريماتُ يَمزَّقن تمزيقًا .. وشيوخُه المُصابِرونَ
تُفجَّرُ أبدانهم أو تُحرقُ أشلاؤهم .. وآلافُ مؤلِّفَةٍ من البشرِ في غزّةِ لا
صريخَ لهم .. تُخنقُ أنفاسُهم تحت أنقاضٍ متراكمةِ .. ولا يجدون من
عالمنا غوثًا ولا عونًا ..
كيف نُسكِتُ ضمائِرنا يا قوم .. وقد حُرِمَ شعبٌ بحِيالِهِ شربةَ ماءِ ..



ولُقمةَ غِذاءٍ .. وقارورةَ دَوَاءٍ؟

كَيْفَ نُخْرِسُ ألسِنَتَنَا يا قَوْمَ .. ونحنُ شهودُ المذبحةِ .. نعيشُها
يوماً بيومٍ .. وساعةً بساعةٍ؟ .. نعيشُها لحظةً بلحظةٍ .. نعيشُ
آلامَها وأوجاعَها .. نعيشُها في وجداننا وإن حُجِبَتْ مشاهدُها
المروعةُ عن شاشاتِ الانحيازِ البغيضِ .. التي تستعيدُ منطقَ
فِرْعَوْنَ في فِرْضِ روايتهِ الباطلةِ وحكايتهِ الزائفةِ بقوله .. ما
أريكم إلا ما أرى .. وما أهديكم إلا سبيلَ الرشادِ ..؟

يُذَبِّحُ الشعبُ العَزيزُ في غَزَّةٍ .. لكنَّه لا يَرَكُّعُ إلاَّ اللهُ الواحدِ
القَهَّارِ ..

ومن شَعْبِ غَزَّةٍ .. يتعلَّمُ عالمنا كرامةَ الإنسانِ وعِزَّةَ نَفْسِهِ
وأصالةَ مَعَدِنِهِ وصلابةَ إرادَتِهِ ..

يَذْرِفُ الأهالي دموعَ الإنسانيَّةِ على أحبَّائِهِم .. لكنَّهُم
يَسْتَلْهِمُونَ العَوْنَ من اللهِ ذي القوَّةِ المتينِ .. يَرَفَعُ الإنسانُ في
غَزَّةٍ صَوْتَهُ بالتكبيرِ إن داهمتهُ الفاجعةُ .. لإيائِهِ الراسخِ بأنَّ
اللهَ أكبرُ من غاراتِ القتلِ .. وأنَّ اللهُ أكبرُ من قذائفِ الموتِ ..
وأنَّ اللهُ أكبرُ من صواريخِ العُدوانِ .. وأنَّ اللهُ أكبرُ من سياسةِ



التجويع .. وأن الله أكبر من حَرْبِ التعطيش .. وأن الله أكبر من سَطْوَةِ القَهْر .. وأن الله أكبر مما يُصَبُّ على هذا الشعب من الويلات ..

ها هُوَ شَعْبٌ فَلَسْطِينٌ يُعَلِّمُنَا .. وَيُعَلِّمُ عَالِمُنَا أَجْمَعَ دَرَساً بليغاً .. في احتمالِ الضغوطِ واستيعابِ الصدمات .. في الجلدِ والتماسُكِ .. في احتسابِ الفقدِ والوجعِ عند الله تعالى .. في الارتقاءِ فوقَ مشاعرنا الأرضية العابرة .. واحتسابها عند الله الذي بشر الصابرين .. وفي ذلكم عِبْرَةٌ لَنَا جميعاً .. عِبْرَةٌ لِمَنْ استولى عليه جَزَعٌ مِنْ هَمٍّ أَوْ غَمٍّ .. أَوْ تَمَلَّكُهُ فَزَعٌ مِنْ فَقْدٍ أَوْ خُسْرَانٍ .. أَوْ أَرَقَّهُ خَوْفٌ عَلَى مَوْجِعِ عَمَلِهِ أَوْ مَوْرِدِ رِزْقِهِ .. فلنا جميعاً في أمهاتِ غَزَّةِ المفجوعاتِ الصابراتِ .. خيرٌ أسوة .. ولنا جميعاً في آباءِ غَزَّةِ المكلومين المُحتسبين .. خيرٌ قُدوة .. وإِنَّا لَنَحْسَبُهُمْ فِي هَذَا مِثَالاً مَرْتَباً يَجِي ذِكْرُ الصالحينِ العاطِرِ .. على نهجِ الصحابةِ والتابعين .. وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

لا عجب أن تنتصبَ غَزَّةُ اليومِ مثلاً ساطعاً لشعوبِ الأرض ..



في عِزَّةِ أَهْلِهَا وَأَصَالَةِ مَعْدِنِهَا .. فِي ثَبَاتِهَا الْمُدْهَلِ رَغَمَ الْقُصْفِ
وَالْتَرْهيبِ وَالتَّرْوِيعِ .. وَاللَّهِ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ.



قال تعالى ..

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ
مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ
فكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا
أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا
بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّمَا كَثَرُوا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي
الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٣٢)

سورة المائدة. ٣٢



الموضوع السابع

جريمةٌ ضدَّ الإنسانية (فكأنما قتل الناس جميعاً)

فقد شهدَ عالمنا خلال حرب الإبادة التي أُوقِعت على شعبِ فلسطين في غزة .. ما يَفزَعُ منه الوجدان .. وعائش ما تنتفضُ له الأبدان .. من التقتيل والتدمير والتجويع والترجيع .. فهذا العدوان على الأنفس لم يَرَحْمَ طفلاً أو امرأةً أو شيخاً أو مريضاً ..

ومن تعظيم حُرْمَةِ الدِّماء .. قوله تعالى في مُحْكَم التنزيل: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ



كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لسرفون (٣٢) ﴿ سورة المائدة .
وفي هذا تنبيه للناس جميعاً عبر العصور، وقد جاءت الآية
الكريمة بعد نبأ ابني آدم .. أي عطفاً على جريمة القتل الأولى،
التي ينبغي أن تكون عظة للناس كافة عبر التاريخ ..

ومما ينبغي بيانه في هذا المقام .. أن سفك دماء الآمنين وقتل
الناس بغير حق .. ليس جريمة ضد غزة وحدها أو فلسطين
وحسب .. فهي بالمعنى الأعم جريمة ضد الإنسانية .. إذ
تنتهك حرمة النفس البشرية .. فمن يستمرئ إزهاق الأرواح
.. وسحق الأبدان .. وترويع الأبرياء .. وإسقاط الشرائع ..
والإطاحة بمبادئ عالمنا ومواثيقه وقوانينه المدونة؛ .. من
يستمرئ هذا كله .. إنها يقترف جريمة شنعاء ضد الإنسانية
... ﴿ .. أنه من قتل نفساً زكيةً بغير نفس أو فساد في الأرض
فكأنما قتل الناس جميعاً ﴿ .. وهكذا يتعيّن على البشرية جمعاء
أن تستنكر فعلته وأن تتحرك ضده .. بصوت الحق ونداء
الضمير وأمانة الموقف ..

ومن إحياء الأنفس صون حرماتها ودفع القتل عنها .. وهذه



عِظَةٌ بِاللُّغَةِ تَشْتَدُّ حَاجَةٌ عَلَمْنَا إِلَيْهَا .. فَمَنْ تَنَادَوْا لَوَقُفِ
هَذِهِ الْمَجَازِرِ الْوَحْشِيَّةِ الَّتِي تَفْتِكُ بِالرُّضْعِ وَالْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالشُّيُوخِ وَالْمَرْضَى وَعَمُومِ الْمَدِينِ .. عَلَى مَرَأَى مِنْ الْعَالَمِ
وَمَسْمَعٍ .. امْتَثَلُوا لِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ الْمَغْلُظَةِ .. بِالسَّعْيِ الْحَثِيثِ فِي
إِحْيَاءِ الْأَنْفُسِ .. وَدَرْءِ الْمَقْتَلَةِ .. وَإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ الَّتِي تَعْصِمُ
الدِّمَاءَ وَتَصُونُ الْأَرْوَاحَ ..

إِنَّ مَنْ رَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ فِي مَنَابِرِ الْأَرْضِ .. وَمِيَادِينِ الْعَالَمِ .. ضِدًّا
نَهْجِ الْإِبَادَةِ وَجَرَائِمِ الْحَرْبِ .. هُمْ أَوْفِيَاءُ حَقًّا لِهَذِهِ التَّعَالِيمِ
الْخَالِدَةِ .. فَهُوَ مَوْقِفٌ امْتِثَالٍ لِتَوْجِيهِ رَبَّانِيٍّ وَاضِحٍ .. وَهُوَ
مَوْقِفُ التَّزَامِ بِمَبْدَأِ إِنْسَانِيٍّ وَأَخْلَاقِيٍّ سَابِغٍ .. لَا يَصِحُّ إِسْقَاطُهُ
أَوْ تَعْطِيلُهُ .. وَقَدْ شَاهَدْنَا جَمِيعًا نِدَاءَاتِ إِحْيَاءِ الْأَنْفُسِ الْمَهْدَدَةِ
بِالْقَتْلِ .. يُطْلَقُهَا حَامِلُو الضَّمَائِرِ الْحَيَّةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ .. وَيَبْعَثُ بِهَا
أَطْبَاءٌ وَمَمْرُضُونَ وَمُسْعِفُونَ مِنْ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ .. لَوَقُفِ الْعَدْوَانِ
السَّافِرِ عَلَى مَسْتَشْفِيَّاتِ غَزَّةِ .. وَإِنْقَاذِ الْمَرْضَى وَالْجُرْحَى الَّذِينَ
يُطَارِدُهُمُ الْقَصْفُ وَتُحَاصِرُهُمُ الدَّبَابَاتُ .. وَإِغَاثَةِ الْأَطْفَالِ
الْحُدَجِّ .. أَوْلَائِكُمُ الصُّغَارُ الَّذِينَ قُطِعَ عَنْهُمْ شَرِيَانُ الْحَيَاةِ ..
وُخِنِقَتْ أَنْفُسُهُمْ عَلَى مَرَأَى مِنْ الْعَالَمِ وَمَسْمَعٍ ..



إنَّ التَّنَادِي لِكَبْحِ المَقْتَلَةِ .. وَالتَّدخُّلَ لِأَحْيَاءِ الأَنْفُسِ ..
هُوَ مَسْئُولِيَّتِنَا جَمِيعاً .. كُلُّ مَن مَوْقِعِهِ .. وَكُلُّ مَن يَلِيهِ
مِن أَصْحَابِ الضَّمَائِرِ .. فِي الجَامِعَاتِ وَالمَعَاهِدِ .. فِي العَمَلِ
وَالوُضُوفَةِ .. فِي الجَمْعِيَّةِ وَالنَّقَابَةِ .. فِي المَنَابِرِ وَمَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ
.. فِي الشَّاشَاتِ وَالشَّبَكَاتِ .. فَكَيْفَ لِلعَيُونِ أَنْ تَغْفُوَ .. وَأَبْدَانُ
الصِّغَارِ تَرْتَعِشُ مِنْ هَوْلِ مَا يَجْرِي هُنَاكَ؟ وَكَيْفَ لِلأَنْفُسِ أَنْ
تَهْدَأَ .. وَأُمَّهَاتُ غَزَّةَ تَطَارِدُهُنَّ الأَهْوَالُ وَالفَوَاجِعُ؟ وَكَيْفَ
لِلضَّمَائِرِ أَنْ تَرْتَاحَ .. وَهِيَ تُبْصِرُ خَنَادِقَ عَظِيمَةً تُشَقُّ فِي الأَرْضِ
.. كِي تَحْتَوِي جِثَامِينَ المِائَاتِ الذِّينِ سَفِكَتِ دِمَاؤَهُمْ بَغَيْرِ حَقِّ؟
إِنَّهَا مَسْئُولِيَّتِنَا جَمِيعاً .. نَحْنُ البَشَرُ .. فِي أَنْ نَجْتَمِعَ عَلَى كَلِمَةٍ
سِوَا .. لِأَجْلِ الحَقِّ وَالعَدْلِ .. وَلو قَفَّ الجَرِيمَةُ الشَّنِيعَةُ ضِدَّ
الإِنْسَانِيَّةِ .. الَّتِي يَشَاهِدُهَا عَالَمُنَا عِبْرَ البَثِّ المَبَاشِرِ .. لِحِظَّةٍ
بَعْدَ لِحِظَّةٍ ..

وَلَا يَنْبَغِي لِلقُنُوطِ أَنْ يَتَسَلَّلَ إِلَى رَوْعِ أَحَدِنَا .. لِأَنَّ الصَّوْتِ
الَّذِي يَرْفَعُهُ لَمْ يُوقِفِ المَآسِي وَلم يَكْبَحِ الفِظَائِعَ .. ذَلِكُمْ أَنَّ
جُهْدَهُ هَذَا يَظَلُّ كَلِمَةً حَقِّ وَعَدْلٍ وَإِنْ لَمْ يُمَثَّلْ لَهَا .. يَظَلُّ
نِدَاءً قَلْبٍ وَضَمِيرٍ وَإِنْ لَمْ يُسْتَجَبْ لَهُ ..



وإنّه لموقفٌ مبدئيٌّ يحتاجُه عالمنا كي يهتدي إلى سبيلِ الرِشادِ

..

لقد كَشَفَتْ غَزَّةٌ لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ .. أَنَّ عَالِمَنَا تَتَابُهُ عِلَّةٌ أَخْلَاقِيَّةٌ مُتَّفَاقِمَةٌ .. وَمُعْضَلَةٌ قِيَمِيَّةٌ مُسْتَعْصِيَةٌ .. وَقَدْ تَجَلَّى لِلْعِيَانِ أَنَّ اسْتِدْعَاءَ الْقِيَمِ وَالْمَبَادِيِ وَالْمَوَاقِيِقِ .. يُخَالِطُهُ هَوَى ظَاهِرٌ .. وَأَنَّ بَعْضَ الْقِيَمِ وَالْمَبَادِيِ تُسْتَعْمَلُ سِتَاراً مُضِلِّلاً لِتَبْرِيرِ الْإِجْهَازِ الْبَشِعِ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ ..

فَأَيُّ عَالَمٍ هَذَا الَّذِي يُقَرَّرُ تَشْغِيلَ قِيَمِهِ وَمَبَادِيِهِ وَمَوَاقِيِقِهِ .. حَسَبَ أَهْوَائِهِ وَمَصَالِحِهِ؟

وَأَيُّ عَالَمٍ هَذَا الَّذِي لَا تَتَكَافَأُ فِيهِ أَرْوَاحُ الْبَشَرِ .. وَلَا تَتَسَاوَى فِيهِ حَقُوقُهُمْ وَحُرِّيَّاتُهُمْ وَكِرَامَتُهُمْ؟

وَأَيُّ عَالَمٍ هَذَا الَّذِي يَرْفَعُ شَعَارَاتِ نَبِيلَةٍ لَا يَمْتَثِلُ لَهَا فِي وَاقِعِ التَّطْبِيقِ؟

أَيُّ عَالَمٍ هَذَا الَّذِي يَسْمَحُ بِكُلِّ هَذَا الرَّعْبِ الْقَاتِلِ .. ضِدَّ شَعْبٍ مِنَ اللَّاجِئِينَ .. الْمَحْرُومِينَ مِنْ حَقِّهِمْ وَحُرِّيَّتِهِمْ؟

وَقَدْ قَدِّمَتْ غَزَّةٌ لَنَا وَلِشُعُوبِ الْعَالَمِ .. دُرُوساً فِي عِزَّةِ الْإِنْسَانِ



وكرامته .. وعظمت في صلابة الإرادة ومثانة الاحتمال .. فجادت
غزّة علينا وعلى عالمنا بنماذج مُلهمة في الصبر والاحتساب
.. والتكافل والتراحم .. وفي ارتقاء الإنسان فوق أوجاعه
.. وتساميه فوق آلامه .. إن تهيأ له إدراك مغزى الوجود ..
وتطلّع ناظراً إلى المعالي ..

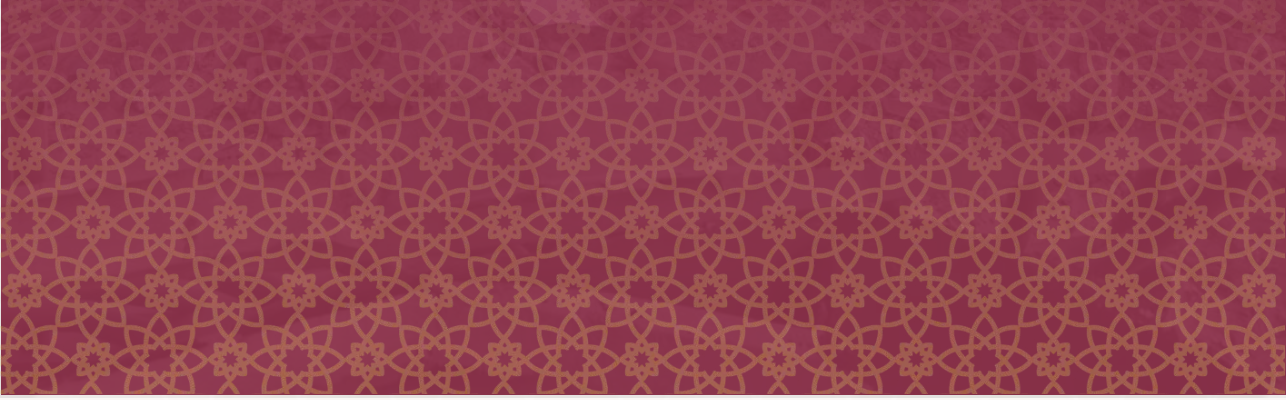




قال تعالى..

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهُؤُورٌ وَلَلدَّارُ
الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾

سورة الأنعام ٣٢





الموضوع الثامن

متانة الإيمان وعمق اليقين

فقد أكرمنا الله تعالى برؤية نماذج مُلهمة في متانة الإيمان وعمق اليقين .. نماذج مُلهمة في الصبر والاحتساب .. نماذج مُلهمة في استصغار الدنيا وتعظيم الآخرة ..

فقد تهيأ للناس في مشارق الأرض ومغاربها .. أن ترى بشراً لا تُكسر إرادتهم .. ولا تُوهن عزمهم .. ثابتين مثل الجبال رغم هدم بيوتهم .. صابرين محتسبين رغم الأهوال والفظائع .. فإن أصابتهم مصيبة قالوا: الحمد لله .. وإذا مسهم القرْح كبروا الله تكبيرا ..

إنها غزوة .. نُحيي فيها سير الأولين .. من الصحابة والتابعين .. هي غزوة .. كتاب مسطور بتضحيات الكبار والصغار .. بثباتهم واحتسابهم ..



كفى بغزّة واعظاً لمن أراد الوعظَ هذه الأيام .. فهو وعظٌ حيٌّ
يَدُبُّ فَوْقَ الأَرْضِ وَيَتَحَرَّكُ فِي دُنْيَا النَّاسِ ..

وقد حار بعضُ الناسِ في عالمنا .. في فَهْمِ هذه القُوَّةِ الإنسانيَّةِ
الخارقة .. التي تُرى عياناً مِنْ واقِعِ أَجْيَالٍ تَسْتَهينُ بِآلامِها ..
وتتسامى فَوْقَ أَشْلائِها .. وترتقي فَوْقَ أَنْقاضِها .. حارَ بعضُ
الناسِ في تأويلِ هذه الإرادةِ الصلبة .. التي لا تكسرُها الأهوالُ
التي تُصَبُّ فَوْقَ الرُّؤوسِ ..

حتَّى تبيِّنَ لبعضِ الحائرينَ أَنَّ سِرَّ الإنسانِ في غزّةٍ مُنْعَقِدٌ في
إيمانهِ باللهِ تعالى .. وفي اتِّكاليهِ على الله عزَّ وجلَّ .. وفي احتسابِهِ
كُلِّ ما يَفقدُ أو يَخسرُ عندَ فاطِرِ السَّماءِ والأرضِ .. فكلُّ هذه
الخسائرُ الظاهرةُ والتضحياتُ الغالية .. هي رصيْدٌ مُدَّخَرٌ عندَ
مَنْ لا تَضيعُ عندهُ الودائعُ .. هي رصيْدٌ يتعاضَمُ عندَ مَنْ لا
يُضيعُ أَجرَ مَنْ أَحسنَ عملاً ..

قدِّمَتِ غزّةٌ نموذجاً مُلهِماً لمن يفتحُ عَينِيهِ وَقَلبَهُ وَعَقْلَهُ .. فإنَّ
الناسَ فيها إن استُهدِفوا بالتدميرِ عادوا في كُلِّ مَرَّةٍ إلى التعميرِ
.. فهذه الأبنيةُ والعمائرُ التي قوَّضَها الغزاةُ تقوِّضُها .. أُعيدُ
بناؤها مرَّاتٍ ومرَّاتٍ مِنْ قبلِ .. ولن يَكفَّ الأهلِي مِنْ بعدُ



إن شاء الله عن رَفَع بُنْيَانِهَا مِنَ الْقَوَاعِدِ .. كَمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ..
وَإِنْ هَوَتْ السُّقُوفُ فَوْقَ الرُّؤُوسِ .. وَأُطِيحَ بِالْجُدْرَانِ ..
وَطَارَتِ النُّوَاظِدُ .. وَجَدَّتْ الْحَيَاةَ تَدُبُّ فِي مَا بَقِيَ مِنْ قَاطِنِهَا ..
لِيُوَاصِلُوا الْعَيْشَ وَالْاجْتِمَاعَ فَوْقَ أَنْقَاضِهَا .. وَقَدْ أَدْرَكُوا
أَنَّ جَرَائِمَ الْحَرْبِ الْفُظِيْعَةَ قَدْ تَسْحَقُ الْبُنْيَانَ وَالْأَبْدَانَ لَكِنَّهَا
تَعْجَزُ عَنْ تَقْوِيضِ إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ؛ .. إِنْ هُوَ اسْتَلْهَمَ الْعَوْنَ مِنْ
اللَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ .. مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ذِي الْجَلَالِ ..

تُعَلِّمُنَا غَزَّةَ هُنَا دَرُوسًا وَتَمْنَحُنَا مَوَاعِظَ .. هِيَ دَرُوسٌ لَا تُقَدَّرُ
بِثَمَنِ .. دَرُوسٌ تُحَرِّرُنَا مِنْ قَبْضَةِ الْعِجْزِ .. وَمَوَاعِظٌ تُخَلِّصُنَا
مِنْ وَطْأَةِ الْإِنْكَسَارِ .. فَمَنْ يَجْزَعُ مِنْ هَمِّ أَصَابِهِ .. أَوْ يَفْزَعُ مِنْ
غَمِّ أَلْمِ بِهِ .. فَلْيَلْتَمَسْ الْمَوْعِظَةَ مِنْ رِجَالِ غَزَّةَ .. مِنْ أُمَّهَاتِ
غَزَّةَ .. مِنْ جَدَّاتِ غَزَّةَ .. مِنْ شِيُوخِ غَزَّةَ .. مِنْ أَطْفَالِ غَزَّةَ ..
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةٌ قَالُوا: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ..
الَّذِينَ إِنْ أَحَاطَتْ بِهِمُ الْفُظَائِعُ صَاحُوا: «اللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّهُ الْحَمْدُ» ..
فَتَقَرَّمْ حَطَامُ الدُّنْيَا فِي عِيُونِهِمْ وَتَطَلَّعَتْ أَفئِدَتُهُمْ إِلَى الْجَائِزَةِ
الْكَبْرَى مِنَ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ .. وَإِنَّمَا يُؤَوِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ..



هل أدرك الحائرون سِرَّ غَزَّةِ الْآنَ؟ إِنَّهَا الْقُلُوبُ الْمَتَّصِلَةُ بِاللَّهِ
تَعَالَى .. وَالْعُقُولُ الَّتِي وَضَعَتِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا فِي حَجْمِهَا
الْمُنطِقِيِّ .. فَالْإِنْسَانُ لَنْ يَبْقَى فِي هَذِهِ الدَّارِ خَالِداً مُخَلِّداً .. وَإِنَّ
كُلَّ مَا يُقَاسِيهِ فِيهَا قَدْ يَصِيرُ زِيَادَةً لَهُ فِي الْأَجْرِ .. وَقَدْ يُحْتَسَبُ
قُرْبَاناً لِلَّهِ تَعَالَى .. وَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِنْ احْتَسَبَ كُلَّ هَذِهِ التَّضَحِيَّاتِ
الْعَظِيمَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى .. فَإِنَّهَا سَتَهُونَ وَتَتَضَاعَلُ .. وَتَكْبُرُ
مَعَهَا إِرَادَتُهُ .. وَتَتَقَدَّمُ عِزُّهَا قَضِيَّتَهُ ..

تَقُولُ لَنَا غَزَّةٌ .. ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هُذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ
الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ سُوْرَةُ غَافِرٍ - ٣٩

أَدْرَكَ أَوْلُو الْأَلْبَابِ أَنَّ الْمَشَاهِدَ الْمَلْحَمِيَّةَ الَّتِي سَطَّرَهَا أَهْلِي غَزَّةٍ
عَلَى مَرَأَى مِنَ الْعَالَمِ .. بِكِبْرِيَاءِ إِرَادَتِهِمْ .. وَاسْتِعْلَاءِ كِرَامَتِهِمْ
.. وَبِعِزَّةِ أَنْفُسِهِمْ .. وَعِفَّةِ أَلْسِنِهِمْ .. بِثَبَاتِهِمْ وَصُمُودِهِمْ
وَشَجَاعَتِهِمْ .. وَبِاصْطِبَارِهِمْ وَاحْتِمَالِهِمْ وَاحْتِسَابِهِمْ .. هَذِهِ
الْمَشَاهِدُ لَا تَتَشَكَّلُ إِلَّا بِرُؤْيَا ثَابِتَةٍ لِلْحَيَاةِ .. وَنَظَرَةٍ ذَاتِ مَغْزَى
لِلْوُجُودِ .. وَهَكَذَا تَعْرِضُ غَزَّةٌ مِثَالاً فِي الْقِيَمِ النَّبِيلَةِ وَالْمُبَادِيِ
السَّامِيَةِ .. الَّتِي يَجْدُرُ اسْلَتَهَا مِثْلُهَا .. وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ فِي غَزَّةٍ أُشْرِبُوا
فِي قُلُوبِهِمْ حُبَّ الدُّنْيَا وَزَيْتَتَهَا .. لَشُوْهُدُوا يَنْكَسِرُونَ فَوْقَ



حُطَامِهَا .. أَوْ يَجْزَعُونَ مِنْ هَوْلِ الْخَسَائِرِ الَّتِي أُحِلَّتْ بِهِمْ ..
مِنْ فِطَاعَةٍ فَقَدْ الْأَحْبَبِ وَالْأَقْرَبِينَ .. لَكِنَّهُمْ تَسَامَوْا فَوْقَ الْحَطَامِ
وَالْخَسَائِرِ .. وَعَدُّوْهَا فِي رِصِيدِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .. وَاعْتَبَرُوهَا
تَضَحِيَاتٍ وَاجِبَةً لِأَجْلِ حُرِّيَّتِهِمْ وَحَقُوقِهِمْ وَكِرَامَتِهِمْ ..

وَلَنْ يَسْتَقِرَّ هَذَا الدَّرْسُ فِي وَعْيِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ .. وَلَنْ يُدْرِكَهُ الَّذِينَ
طَابَ لَهُمُ الْاِغْتِرَافُ مِنَ الدُّنْيَا وَالتَّشَاوُلُ إِلَى الْأَرْضِ .. الَّذِينَ
فَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ..
ثُمَّ إِنَّ الْمَسَاجِدَ الَّتِي هَوَتْ مَآذِنُهَا .. وَفُجِّرَتْ قِبَابُهَا .. وَقَوَّضَتْ
جِدْرَانُهَا .. هِيَ ذَاتُهَا الَّتِي ابْتُنِيَتْ مِنْ قَبْلِ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ ..
وَسَيَبْتِنِيهَا الرُّكْعُ السُّجُودُ مِنْ بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .. لِيُذَكَّرَ فِيهَا
اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ..

وَالْجَامِعَاتُ وَالْمَعَاهِدُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْمَكْتَبَاتُ .. الَّتِي أَحَالَهَا جَيْشُ
الْبَغْيِ خِرَابًا وَأَطْلَالًا .. هِيَ ذَاتُهَا الَّتِي شُيِّدَتْ بَعْدَ كُلِّ مَرَّةٍ
هُدِّمَتْ فِيهَا أَوْ أُحْرِقَتْ .. وَتَسْتَعُودُ دُوحَاتٍ لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ
عَنْ قَرِيبٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ..



فلا تُغَرِّبَنَّكُمْ مشاهدُ الخرابِ الرَّهيبِ .. والأطلالِ المتزاحمة ..
والأنقاضِ المتراكمة .. فإنَّ الاتِّكَالَ على الله تعالى .. واستلهاَمَ
العونِ منه .. سيعيدها إن شاء الله فوق ما كانت عليه .. فكيفَ
لك أخي الكريم من بعدُ وأنت ترى هذا المثالَ العمليَّ المرئيَّ
.. أن تَسْمَحَ لِضَعْفِ بَأْنِ يَسْتَوِيَّ عَلَيْكَ .. أو أن تَرَكْنَ لِعَجْزِ
يستحوذُ على إرادَتِكَ؟

هي غزوةٌ إذ تُقيمُ الحُجَّةَ على كُلِّ مَنْ يقول: لا طاقةٌ لي بكذا أو
كذا .. لا طاقةٌ لي بحفظِ آياتٍ من كتابِ الله تعالى! لا طاقةٌ لي
بتركِ ما اعتدتُ عليه! لا طاقةٌ لي بعملٍ أو كَسْبٍ أو تَعَلُّمٍ أو
تطويرٍ! لا طاقةٌ لي بصيامٍ أو صدقةٍ! لا طاقةٌ لي بِبَذْلِ أو عَطَاءٍ!
.. فغزوةٌ تقيمُ الحُجَّةَ على كُلِّ مَنْ يستسلمُ لعجزه أو كسله .. أو
يرضخُ لِحُبْنِهِ أو بُخْلِهِ!

نَقَلتَ إلينا الكُتُبُ سِيرَ الصالحين عبر العصور .. وها هي
المشاهدُ المصوَّرةُ .. المحمولةُ بالبَثِّ المباشرِ وعبر الشاشاتِ
والشبكات .. تَنُقِلُ إلينا نماذجَ عمليةٍ مُلهمةٍ لإنسانِ العصرِ
.. تُعينُهُ على الرُّشدِ في مسالكِ الحياة .. كي تَتَّظِمَ الأولوياتُ



عنده كما ينبغي .. تقديماً وتأخيراً .. وكى يتحرّر من ثقافة الاستهلاك الجامحة .. التي تُضخّم اقتناء الماديات وتُحض على التراكض خلف السِّلَع التي لا نحتاج كثيراً منها في واقع الأمر .. فهذه النماذج العملية الملهمة .. تعينُ إنسانَ العصر في التخلص من تحسّسه المفرط لما قد يمسه من كدرٍ وهموم أو أرقٍ وانشغال .. فإنّ الإنسان إن أدرك الغاية من الوجود .. ولم تأسره الدنيا وزينتها .. يكون الإنسان عندها قد تحرّر بحق وارتقى المرتقى .. وأدرك معنى قوله تعالى ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهُوَ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ - سورة الأنعام ٣٢

يكون الإنسان عندها قد أدرك معنى قوله تعالى ﴿ وَمَا أوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ - سورة القصص ٦٠

يكون الإنسان وقتها قد أدرك مغزى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا



وَأَزَيَّنْتَ وِظْنَ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ
نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ - سورة يونس

هكذا قدمت غزّة لنا ولشعوب العالم .. دروساً في عِزّة
الإنسان وكرامته .. وعِظَاتٍ في صلابَةِ الإرادةِ ومَتَانَةِ الاحتمالِ
.. فجَادَتِ غزّةُ علينا وعلى عالمنا بنماذجٍ مُلهِمَةٍ في الصبرِ
والاحتساب .. والتكافلِ والتراحم .. وفي ارتقاءِ الإنسانِ فوقِ
أوجاعِهِ .. وتساميه فوقِ آلامِهِ .. إن تهيّأ لَهُ إدراكُ مغزى
الوجود .. وتطلّع ناظراً إلى المعالي ..

فيا أهلَ غزّة .. لا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلونَ بإيمانكم ..
يا أهلَ غزّة .. إن يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرْحٌ مثله
.. وتلك الأيَّامُ نُدَاوِهَا بين الناس .. وليَعْلَمَ اللهُ الذين آمنوا
ويَتَّخِذَ مِنْكُمْ شهداء ..

يا أهلَ غزّة .. ها أنتم من فوق الأنقاض تفتحون أبصارَ
الأمم والمجتمعات على دُروسٍ بليغةٍ وعِظَاتٍ عميقة .. تشتدُّ
حاجةُ البشرِ إليها في هذا الزمان ..



يا أهل غزّة .. نسأل الله تعالى أن يتقبّل تضحياتِكُم العزيزة
.. وأن يرَبِّطَ على قلوبِكُم .. وأن يُؤتِيَكُم ثوابَ الدُّنيا وحُسْنَ
ثوابِ الآخِرَةِ ..



عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « المسلم أخو المسلم
لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة
أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن
مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات
يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم
القيامة »

صحيح البخاري - ٢٤٤٢



الموضوع التاسع

عن الأخوة والتزاماتها

نَقِفُ الْيَوْمَ وَقْفَةً لَا بُدَّ مِنْهَا، مَعَ حَدِيثِ نَبِيِّ شَرِيفٍ، عَلَى قَائِلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ .. مَعَ حَدِيثٍ مَا أَشَدَّ حَاجَتِنَا إِلَى مُدَارَسَتِهِ وَالْإِمْتِثَالِ لِمُقْتَضَاهُ .. إِذْ يَقُولُ النَّبِيُّ الْأَمِينُ، صَلَوَاتِ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَالْمُسْلِمَ.

وإننا إذ نجدُ هذا الحديثَ الشريفَ عندَ البخاريِّ ومسلمٍ في أبوابِ المظالمِ والغضبِ، والبرِّ والصِّلَةِ والآدابِ .. فإننا نُدْرِكُ من خلالِ ذلكمُ أيضاً .. مدى مُناسِبَةِ هذه الوصِيَّةِ النَّبَوِيَّةِ لما



شهدناه وعشناه .. لموقفنا هذا الذي خالَجناه وواكبناه .. فما جرى في غزّة ظلمٌ وأيُّ ظلم .. جورٌ وأيُّ جور .. اغتصابٌ للحقوق واستلابٌ للعدالة .. وهو كُربةٌ أوقعت .. ليس على مُسلمٍ واحدٍ أو مسلمة .. وإنما على مليونٍ طفل .. على مليونين وثلاثمائة ألف من أخوتنا وأخواتنا في معسكر اعتقالٍ يُمطَّرُ بالحَمَمِ الملتهبةِ وأطنانِ الموتِ والدمارِ دقيقةً بعد دقيقة .. اسمه قطاعُ غزّة .. وهذا على موسمٍ مديد .. موسمٍ حافلٍ بالقتلِ الجماعيِّ الرهيب .. موسمٍ يَعُجُّ بالدمارِ الشاملِ الفظيع ..

أخي المسلم .. أخوك في غزّة .. أختك في غزّة .. أمك في غزّة .. صغيرتك في غزّة .. مسهم الضُر .. مسهم القصفِ الوحشيِّ .. مسهم التجويعِ والتعطيش .. مسهم التقتيلِ والتدمير .. كانت لهم بيوتٌ فهُدِّمت تهديماً .. صاروا يبيتون في العراء .. يفترشون الأنقاضَ ويلتحفون السماء التي انهمرت منها حممُ القتلِ التي فتكت بهم .. جرى هذا على مرأى مني ومنك أخي المسلم ومسمع .. فتذكّر قولَ نبيِّك الكريم .. صلى الله عليه وسلم .. «ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» ..



ولا يخفى عليك أخي .. أن أخوة الدين والعقيدة والإيمان ..
مُقرّرةٌ في كتابِ الله تعالى، كما في آيةِ الحجرات ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ﴾ ..

على أن الأخوة ليست شعاراً وحسب .. ليست كلمةً جوّفاء
.. فهي أصرةٌ وثقى لا انفصام لها .. وترتّب عليها التزاماتٌ
واستحقاقاتٌ لا تصحُّ الغفلةُ عنها أو التقاعسُ عن أدائها على
وجْهها الأمثل ..

وهذا ما يُنبِّهنا إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم .. فتأمّل
قولَ الحبيبِ المصطفى عليه الصلاة والسلام: (المسلمُ أخو
المسلم، لا يظلمُهُ ولا يُسَلِّمُهُ، ومن كان في حاجةِ أخيه كان الله
في حاجته، ومن فرّج عن مُسلمٍ كُرْبَةً فرّج اللهُ عنه كُرْبَةً من
كُرْبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ومن سترَ مُسليماً ستره اللهُ يومَ القيامة).

أخي المسلم! .. إن كانت لديك حاجةٌ ترجوها من الله تعالى ..
فإن وقوفك مع إخوة الدين والعقيدة والإيمان الذين أُبِيدوا
في غزاةٍ وهُجِّروا ظلماً وعدواناً ولم يجدوا ما يسْتُرُهُم .. هو
بابٌ مفتوحٌ إن رَجَوْتَ الأجرَ والمثوبةَ من بارئِكَ وأن يكونَ
اللهُ تعالى في حاجتِكَ.



أخي المسلم! .. إن رَغِبْتَ بِأَنْ يُفَرِّجَ اللهُ عَنْكَ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتِ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ .. وما أعظمُها مِنْ حَاجَةٍ .. فَإِنَّكَ مَدْعُوٌّ بِمَقْتَضَى
هَذَا التَّوَجِيهِ النَّبَوِيِّ الْوَاضِحِ .. إِلَى أَنْ تَسْعَى فِي تَفْرِيجِ كُرْبَةِ
إِخْوَتِكَ فِي الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ فِي غَزَّةٍ .. الَّذِينَ يَلْفِظُ
الوَاحِدُ مِنْهُمْ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ وَهُوَ يَرْفَعُ إصْبَعَهُ الشَّهَادَةَ صَابِرًا
مُحْتَسِبًا ..

وقد تحسبُ أخي المسلمُ واهماً أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِوَأَجِبِكَ
هَذَا .. فلعلَّكَ لَمْ تُدْرِكْ أَنَّ الْوُقُوفَ مَعَهُمْ فِي كُرْبَتِهِمْ .. وَالسَّعَى
فِي إِنْصَافِ الْحَقُوقِ وَالْعَدَالَةِ وَنَبْذِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ .. هُوَ بَابٌ فِي
الْقِيَامِ بِوَأَجِبَاتِ الْأُخُوَّةِ .. أَنْ تَسْعَى فِي ذَلِكَ مَعَ السَّاعِينَ بِالْقَوْلِ
وَالْمَوْقِفِ .. وَأَنْ تَبْذُلَ مَا تَمْلِكُ مَنْ وَقْتٍ وَجُهْدٍ وَاجْتِهَادٍ وَمَالٍ
وَعَطَاءٍ وَحُضُورٍ لِأَجْلِ هَذَا الْهَدَفِ النَّبِيلِ .. الَّذِي لَا يَصُحُّ
الْقَعُودُ عَنْهُ وَقَدْ بَلَغَتْ الْمَذْبَحَةُ مَبْلَغَهَا .. وَالْإِبَادَةُ مَدَاهَا .

وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ يُحَقِّقَ اللهُ تَعَالَى حَاجَتَكَ فَلَا تَصْرِفْ عَيْنَكَ عَنْ
ذَوِي الْحَاجَاتِ .. وَأَيُّ حَاجَةٍ تَتَقَدَّمُ عَلَى أُمَّهَاتِ ثِكَالِي وَأَطْفَالِ
سُحِقُوا وَمَرْضَى أُبَيْدُوا .. هُمْ إِخْوَةٌ لَكَ وَأَخَوَاتُ؟



واعلم أخي المسلم .. والكلام هنا للرجال والنساء جميعاً ..
للشباب والفتيات معاً .. اعلم .. أنك إذ تضع نصب عينيك
حاجات أكثر من مليوني إنسان .. هم أخوتك وأخواتك .. إذ
تضع هذه الحاجات والكربات والمظالم نصب عينيك وموضع
ناظريك .. ولا يغمض لك جفن أو تقرُّ لك عين أو يطيب لك
طعام أو شراب؛ .. وأنت تشهد إبادةهم وتهجيرهم .. وأنت
تري تقتيلهم وتدمير بيوتهم ومخيماتهم .. فإنك بهذا تمثّل
لمقتضى التوجيه القرآني والهدي النبوي .. وتستجيب أيضاً
لمقتضى المبدأ والضمير .. وتحقق إنسانيتك أيضاً التي تقف
مع الأمّ والطفل .. والرضيع والمريض .. والمصاب والمكلموم
.. لا تسلمه لأنياب الإبادة .. لا تخذله في موقف التهجير .. لا
تركّه لمخالب الوحشية .. لا تغفل عن كُربته ولا تسهو عن
حاجته ..

وأنت بهذا تعمل بالوصية النبوية .. «المسلم أخو المسلم، لا
يظلمه ولا يُسلمه» .. ومن الظلم أن تسكت عن هذه المقتلة
الفظيعة .. ومن الظلم أن تصرف النظر عن هذه الإبادة التي
رايتها رأي العين أو أن تقعد عن التصرف الواجب بالموقف



والكلمة والتعاون والبذل بالجهد والوقت والمال على النحو
الأمثل.

وإننا إذ نستذكر معنى أخوة الدين والعقيدة، فإننا لا نغفل
عن أخوة القيم والمبادئ والضمان .. التي ينبغي أن تجمع
أُسرتنا الإنسانية على كلمة سواء .. تُناهض فيها الظلم ..
وتُعطل عبرها الإبادة .. وتتصدى من خلالها للتقتيل والتدمير
والتهجير ..

لقد أوقع مجرمو الحرب كارثة إنسانية فظيعة في غزة .. محمولة
إلى أسماع العالم وأبصاره عبر البث المباشر .. وأسقط داعمو
الإبادة القانون الدوليّ وداسوا موثيق الأمم .. وأوقعوا عالمنا
في أزمة قيمية ومعضلة أخلاقية .. وينبغي أن تتكاتف الجهود
النبيلة جميعاً لوقف الجريمة الشنيعة ضد الإنسانية .. التي
هي جريمة ضدنا جميعاً نحن البشر .. جريمة ضد إنسانيتنا
.. جريمة ضد مبادئنا .. جريمة ضد موثيقنا .. جريمة ضد
أخلاقياتنا .. جريمة ضد كرامتنا .. وإن عالماً يسمَح بهذه
المقتلة الرهيبة بحق الأطفال والنساء والمستضعفين شهرين



مُتَّابِعِينَ .. وَيَتَهَاوَنَ مَعَ هَذِهِ الْوَحْشِيَّةِ وَهِيَ تَدْخُلُ شَهْرَهَا
الثَّالِثَ وَيُوَاصِلُ تَبْرِيرَهَا .. هُوَ عَالَمٌ لَا أَمَانَ فِيهِ وَلَا حَقُوقَ
وَلَا عَدَالَةَ ..

وَلَا يَفُوتُنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ نَتَوَجَّهَ إِلَى إِخْوَتِنَا وَأَخَوَاتِنَا فِي غَزَّةَ ..
فِيَا أَهْلَ غَزَّةَ .. لَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ بِإِيمَانِكُمْ ..
يَا أَهْلَ غَزَّةَ .. إِنْ يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ
.. وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ .. وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ



قال تعالى ..

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

سورة البقرة، آية ١١٤



الموضوع العاشر

العدوان على الإنسان والمقدّسات والحرّمات

فقد قال الله تعالى في مُحْكَم التنزيل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ سورة التوبة، آية ١٨.

وقال عزّ وجلّ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ سورة الجن، آية ١٨.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾



سورة البقرة، آية ١١٤

وإِنَّا الْيَوْمَ نَقِفُ مَعِ عُدْوَانِ مَشْهُودٍ عَلَى بِيوتِ اللَّهِ تَعَالَى ..
عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. عَلَى مَقَدَّسَاتِ
الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .. عُدْوَانٍ يَتَّبِعِي إِذْ لَأْنَا فِي دِينِنَا وَإِهَانَتِنَا
فِي عَقِيدَتِنَا ..

فَقَدْ فَجَّرَ الْغَزَاةُ مَسَاجِدَ غَزَّةَ .. أَطَاحُوا بِمَآذِنِهَا وَقَبَائِبِهَا ..
هَوَّتْ سَقُوفُهَا فَوْقَ الرُّؤُوسِ .. وَأَحَالُوا فِضَاءَاتِهَا إِلَى رُكَّامِ
.. جَعَلُوهَا أَنْقَاضًا تَحْتَوِي أَشْلَاءَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ .. مَعَ بَقَايَا
مَصَاحِفَ شَرِيفَةٍ أَحْرَقَهَا الْقَصْفُ الْمَهْمَجِيُّ ..

وَقَدْ شَاهَدْنَا مَا اقْتَرَفُوهُ فِي أَكْبَرِ مَسَاجِدِ غَزَّةَ وَأَعْرَقَهَا .. الْجَامِعِ
الْعُمَرِيُّ الْكَبِيرَ .. الَّذِي دَمَّرُوهُ تَدْمِيرًا .. دُونَ أَنْ يُعْبَأَ بِذَلِكَ
أَوْ يُكْتَرَثَ .. فِي عَالَمِنَا الَّذِي هَبَّ قَلْبًا بَعْدَ حَرِيقٍ أَتَى قَبْلَ
سِنَوَاتٍ عَلَى كَنِيسَةٍ نُوْتَرْدَامَ !..

وَقَدْ رَفَعَ جَيْشُ الْغَزَاةِ أَعْلَامَ الْإِحْتِلَالِ فَوْقَ مَآذِنِ الضُّفَّةِ
الْغَرْبِيَّةِ .. وَاتَّخَذَهَا أَبْرَاجًا لِلْقَنْصِ وَالْقَتْلِ .. عَلَى مَرَأَى مِنْ
الْعَالَمِ أَجْمَعِ ..



ثمَّ شاهَدْنَا .. وشاهَدَ العالَمُ مَعَنَا .. ما اقترَفَه أولئِكم الجنودُ
.. داخلَ مَسْجِدٍ في جنين .. دنسوهُ بأسلحتِهِم وأحذيتِهِم ..
شوهوا جدرانَه .. سَخروا من ديننا ومقدساتنا ومصاحفنا
.. اعتلوا المنبرَ الطاهرَ وأقاموا صلواتٍ عابثةً .. واستخدموا
مُكَبِّرَ الصَوْتِ المُخَصَّصَ لرفعِ الأذانِ وتلاوةِ آيِ الذِّكْرِ الحكيمِ
.. استخدموه للعبثِ والتدنيسِ .. وقد حرصوا على تصويرِ
فعلتِهِم الشنعاءَ التي فعلوا .. ونَقَلَ مقاطِعَها المرئيةَ لِشاهدِها
مُسلمو الأرضِ قاطبةً .. ابتغاءَ الإهانةِ وابتغاءَ الإذلالِ ..
إنهم الغزاة .. الذينَ يَحْتَلُّونَ المُقدَّساتِ في القُدسِ .. ويستبيحون
المسجدَ الأقصى المبارك .. وَيَسْفِكُونَ دماءَ الأبرياءِ في فلسطينَ
.. يقترفونَ الفظائعَ الرهيبةَ التي يشاهدها العالمُ عبرَ البثِّ
المباشرِ ..

إنَّه تدينسُ سافرٌ لمقدَّساتِ الإسلامِ والمسلمينِ .. لكلِّ مساجدِ
الأرضِ .. لكلِّ منابرِ العالمِ ..
إنَّه صَدُّ عن سبيلِ الله .. تدميرٌ لبيوتِ الله .. عَبَثٌ في بيوتِ
أذنَ الله أن تُرْفَعَ ويُذكَرَ فيها اسمُه ..



وقد شاهدنا هذا العبثَ أيضاً في مدارسَ ورياضِ أطفالٍ .. في مستشفياتٍ وعياداتٍ .. شاهدناه في مكتباتٍ علميةٍ .. شاهدناه في مقاطعَ مرئيةٍ .. يتباهى فيها جيشُ الغزاةِ وجنودهُ بقصفِ المنازلِ وإهداءِ مقاطعِ التدميرِ الشاملِ لذويهم .. ويستمتعُ بعضُ الجنودِ بتحطيمِ ألعابِ رُضعٍ .. وتهشيمِ عرائسِ أطفالٍ .. ورميِ دفاترِ تلاميذٍ .. وتصويرِ هذا العبثِ وبثِّهِ ليراهُ العالمُ أجمع ..

إنَّ هذا العدوانَ الوحشيَّ على شعبِ فلسطينَ .. أطفالاً ونساءً وشيوخاً ومرضى .. هو جريمةٌ ضدَّ الإنسانيةِ جمعاءٍ .. ضدَّ قيمِها ومبادئِها ومواثيقِها وشرائعِها .. ضدَّ الحياةِ البشريةِ .. ومَن قتلَها فكأنما قتلَ الناسَ جميعاً ..

إنَّ تلكمَ الفظائعَ التي شهدها العالمُ .. وفنونَ البطشِ والتنكيلِ والإذلالِ التي أبصرناها جميعاً في تلكمَ المشاهدِ .. هي تعبيرٌ ظاهرٌ عن حقدٍ دفينٍ .. وهي أمارَةٌ عداءٍ للإنسانِ .. عداءٍ للطفولةِ .. عداءٍ للحياةِ .. وهي تكشفُ عن هوسٍ بالقتلِ الجماعيِّ .. والتدميرِ الشاملِ .. والعدوانِ السافرِ .. وهي تُنبئُ



عن مشاعر غير سوية .. وهي نتاج ثقافة تستمرى البطش
والعدوان والتعالي والغطرسة ..

إنّ هذه الاعتداءات الشائنة .. على بيوت الله .. وعلى حُرَمَاتِ
الناس .. وعلى عِصْمَةِ الدِّمَاءِ والأرواح .. هي فضائح كاشفة
للمدى الذي بلغه هؤلاء المعتدون .. ومن عجائب عالمنا أن
يتهاون مع هذه الاستباحة السافرة للقيم والمبادئ والمواثيق
والشرائع .. وأن يتستّر بعض الساسة على ما يُقترَفُ من
فضائح تحت الأسماع والأبصار .. وأن يمدّ جيش العدوان بألة
الجريمة وذخائر الفتك ..

على أن هذا التهاوي في الغي .. هذا الإسراف في الفضائح .. هذا
التباهي بالإذلال والتوحش .. أن هذا يؤذن بانكسار العدوان
.. ونهاية الظلم .. وأفول القهر .. فلا يأتي بمثل هذه
الأفاعيل إلا من هُزِمَ في داخله .. وأدرك عجزه .. وظنوا أنهم
مانعتهم حصونهم من الله .. لقد أوقع مجرمو الحرب كارثة
إنسانية فظيعة في غزة .. محمولة إلى أسماع العالم وأبصاره عبر
البث المباشر .. وأسقط داعمو الإبادة القانون الدولي وداسوا
مواثيق الأمم .. وأوقعوا عالمنا في أزمة قيمية ومعضلة أخلاقية



.. وينبغي أن تتكاتف الجهود النبيلة جميعاً لوقف الجرائم
الشنيعه ضد الإنسانية .. التي هي جرائم ضدنا جميعاً نحن
البشر .. جرائم ضد إنسانيتنا .. جرائم ضد مبادئنا .. جرائم
ضد موثقتنا .. جرائم ضد أخلاقياتنا .. جرائم ضد كرامتنا
.. وإنّ عالماً يسمحُ بهذه المقتلة الرهيبة بحقّ الأطفال والنساء
والمستضعفين .. ويتهاون مع هذه الوحشية ويواصل تبريرها
.. هو عالمٌ لا أمان فيه ولا حقوق ولا عدالة ..





قال تعالى ..

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ
وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾

سورة البقرة، آية ١٥٥





الموضوع الحادي عشر

مشاهد وعِظَات من غزّة

فإنّ الكلمة اليوم .. هي لأهلِ الموقف .. الذين أطلُّوا على
عالمنا من بين الأشلاءِ والأنقاض .. ليمنحونا دروسَ الصبرِ
والاحتساب .. وعِظَاتِ الثباتِ والطمأنينة ..
الكلمةُ لهؤلاءِ الذين أصابهم القرْحُ وزُلزِلوا زلزالاً شديداً ..
وما عهدناهم إلا على إيمانٍ ويقين .. واحتمالٍ مُعجِبٍ للبلاءِ
بلا جزع ولا فزع .. وتسليمٍ غامرٍ بقضاءِ الله وقدره ..
لكم الكلمةُ يا أهلَ غزّة .. لكم المنابرُ لترتقوها .. وقد أنعشتُم
أرواحَ الأممِ وأيقظتُم قِيَمَ الشعوب .. وحركتُم المياهَ الراكدةَ
من أعماقِها ..

لكَ الكلمةُ اليومَ يا «أبا ضياء» .. لكَ الكلمةُ يا خالدُ نبهان
.. أيُّها الفاضلُ الوقور .. يا مَنْ عرفناكَ وأنتَ تحملُ حفيدتكَ



الصغيرة .. التي قتلها جيش الوحشية بلا رأفة .. أجهز على
براءتها الغزاة البغاة .. عرفناك وأنت تخاطبها بحنو وعطف
بين ذراعيك .. بعد أن ارتقت روح الصغيرة .. وروح شقيقها
.. إلى الباري تبارك وتعالى ..

حملت حفيدتك الصغيرة ريم .. خاطبتها بحنو بالغ .. وعطف
سابع .. قائلاً لمن معك: هذه روح الروح .. روح الروح ..
وسألتها بإشفاق وحب .. وقد صارت جسداً هامداً تحملها
برحمة .. عن شقيقها الصغير الذي افتقدته .. الصغير البريء
الذي أجهز مجرمو الحرب عليه ..: أين طارق؟ .. وكأنها
ستجيبك في هذا الموقف الذي لا يحتمل وطأته إلا من كان
بمثل قلبك الكبير واحتسابك العظيم ..

ثم ماذا يا «أبا ضياء» .. أيها الجدد المكلوم .. ذو الفؤاد المفجوع
بحفيديته .. الثابت على إيمان بالله ويقين لا يتزحزح ..
ماذا تقول لنا أيها الإنسان النبيل .. استمعوا برّبكم إلى ما
ذكره لنا ولعالمنا من بعد في مشهد آخر:

«أتقدم بالشكر الجزيل .. بخالص محبتي .. لكل إنسان .. تأثر
بلحظة وداعي لطارق وريم .. روح الروح ..



إِنَّ مَحَبَّتَكُمْ هَذِهِ .. وَدُمُوعَكُمْ الَّتِي انْهَمَرَتْ مِنْ أَجْلِنَا .. لَأَمَسَتْ
قَلْبِي وَرُوحِي ..

هَذِهِ الدُمُوعُ الْغَالِيَةُ عَلَامَةٌ عَلَى مَدَى صِدْقِكُمْ .. وَلَقَدْ بَكَيتُ
لِبِكَائِكُمْ .. وَلَقَدْ بَكَيتُ لِبِكَائِكُمْ ..

إِنِّي أَحْبَبْتُكُمْ دُونَ أَنْ أَلْتَقِيَ بِكُمْ .. وَأَقُولُ لَكُمْ جَمِيعاً: .. أَبْشِرُوا
بِالْخَيْرِ .. فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا .. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا .. سَنَلْتَقِيَ
بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْخَيْرِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْأَمَلِ».

يَا لَهَا مِنْ مَعَانٍ عَظِيمَةٍ .. يَحْتَاجُهَا كُلُّ إِنْسَانٍ الْيَوْمَ .. جُذْتُ
بِهَا عَلَيْنَا يَا «أَبَا ضِيَاءٍ» ..

ثُمَّ إِنَّكَ تُضِيفُ قَائِلاً .. مُخْبِراً عَلَمْنَا عَنْ سِرِّ هَذِهِ الْعَاطِفَةِ
الْجَيَّاشَةِ .. وَالسَّكِينَةِ الَّتِي اطمأنَّ بِهَا قَلْبُكَ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ
العَصِيبِ .. يَضِيفُ مُوضِحاً:

«لَمَنْ يَسْأَلُ عَنْ هَذَا الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ .. فِي لِحْظَةِ الْوَدَاعِ ..
أَقُولُ: إِنِّي تَعَلَّمْتُ هَذَا الصَّبْرَ .. وَهَذَا الثَّبَاتَ .. وَهَذِهِ الْمَحَبَّةَ
.. مِنْ إِسْلَامِنَا الْعَظِيمِ .. وَمِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ .. مِنْذُ
آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .. أَبِي الْبَشَرِ .. مَرُوراً بِدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَإِبْرَاهِيمَ
وَإِسْحَاقَ وَإِسْمَاعِيلَ .. وَالْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ .. وَمُوسَى وَمُحَمَّدَ ..



صلواتُ ربِّي وسلامُهُ عليهم أجمعين.
وفي الختام أترككم في رعاية الله وأمنه. « هذا ما قاله ..

ونحنُ نبادلكَ السلامَ يا «أبا ضياء» .. ونقولُ لك: طمأن الله
قلبك المكلوم .. وأنزلَ على أهلِكَ وشعبِكَ السكينةَ في مُصابِهِم
وفواجِعِهِم .. جزاكَ اللهُ عَنَّا خيراً يا «أبا ضياء» .. نُشهدُ اللهُ
تعالى أننا أحببناكَ .. فقد وَعَظتنا وأحسنتَ الموعدة .. وَعَظتَ
عالمنا بالموَقِفِ المشهودِ والكلمةِ الطيبةِ والدمعةِ الرقيقةِ والمشاعرِ
الفياضة .. حتى خِلنا أنفسنا مكانكَ .. وقد حملتَ إلينا نبضَ
قلبك وصِدقَ إحساسِكَ ونبْلَ خُلُقِكَ وجميلَ عَظفِكَ ..

يا «أبا ضياء» .. إننا نُقرئكَ السلام .. ونقولُ لك ولأهلِ غزّة ..
أطفالِهِم وأمهاتِهِم .. شيوخِهِم وجدّاتِهِم .. مرضاهِم ومُصابيهِم
.. ولأهلِ البذلِ والتضحيةِ منهم .. نقولُ لكم جميعاً: أبشروا
ببيعِكُم الذي بايعتُم به .. ومَن أوفى بعهدِهِ من الله .. أبشروا
ببيعِكُم الذي بايعتُم به .. وإنَّ الله لا يُضيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ
عملاً .. إنَّ الله لا يُضيعُ أجرَ الصابرينَ المحتسبين ..
ثمّ ماذا بعدُ؟ .. تخاطبنا أمّ غزّيةِ فاضلة .. شاهدناها في مقطعِ



مرئىي .. عندما جاءَ مَنْ يُصَوِّرُ أحوالها مع أطفالها تحت
العدوانِ والقصفِ والتجويعِ والتشريدِ والترويعِ .. كي يَنْقُلَها
إلى العالمِ بالمشهدِ المرئىي ..

فماذا قالت؟ اسمعوا برَبِّكُمْ قولها:
«كُلُّ العالمِ يتفرَّجُ علينا .. نحنُ لسنا فرجة» .. تقولُ بعِزَّةِ نفسٍ:
«نحنُ أشرفُ شعبٍ في العالمِ .. لا نريدُ أن يُصَوِّرَنا أحدٌ».
هي لا تقولها استعلاءً بل تأكيداً لعِزَّةِ نفسِها وأصالةِ معدنِها
واستعفافٍ مجتمعيها واستشعارِها معيَّةِ اللهِ الكبيرِ المتعالِ .. إذ
تقول: «كُلُّ العالمِ المتجبرِّ يَقِفُ مع المحتلِّينَ .. لكنَّ اللهُ معنا ..
اللهُ معنا ..

فَتَحُوا كَلَّ أَبوابِ المُساندةِ للغُزاةِ المحتلِّينَ وأغلقوا كَلَّ الأبوابِ
في وجهِنا .. وجهِ الفلسطينيينِ .. لكنَّ باباً فوقهم جميعاً مُنْفَتِحٌ
لنا .. هو بابُ الصَّلَةِ باللهِ تعالى» .. تقولها الأمُّ الكريمةُ النبيلةُ ..
الواثقةُ من صِحَّةِ مَنْطِقِها وهي تَكُنُّسُ فناءَ الدارِ التي يهدِّدها
القصفُ في أيِّ لحظةٍ .. تقولها وهي تُشيرُ بيدها إلى السماءِ ..
ثِقَةً باللهِ تعالى .. واطمئناناً من قلبِها بمعِيةِ اللهِ تعالى في أحلكِ
الظروفِ وهي بين صِغارٍ يتهدِّدهمُ السحْقُ على مدارِ الساعةِ .



تقول الأمّ الثابتة .. الراسخة على الحق واليقين: .. «لا نريدُ أن يعطِفَ علينا أحد .. فاللهُ معنا .. معنا الله» .. وتُدلّل على ذلك بآية من كتاب الله تعالى .. تعيشها واقعا من حولها في غزة .. فتُضيفُ مبرهنَةً على صحّة موقفها وسلامة يقينها:

«ألم يَقُلِ اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ١٥٥﴾

وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿سورة البقرة ١٥٥﴾

الله أكبر .. الله أكبر يا أهل غزة .. ها قد أخلينا لكم المنبر اليوم لتعظونا بالقول .. وتعلمونا بالمثال .. وما أحوَجنا وأحوج عالمنا إلى هذه العظات البليغة .. وهذه الدروس العميقة .. إلى هذه المعاني النبيلة وهذه القيم السامية ..

يا أهل غزة .. يا شعب فلسطين .. لا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون بإيمانكم ..

يا أهل غزة .. إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله .. وتلك الأيام نداؤها بين الناس .. وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ..

يا أهل غزة .. ها أنتم من فوق الأنقاض تفتحون أبصار



الأُمم والمجتمعات على دُروسٍ بليغةٍ وعِظاتٍ عميقةٍ .. تشتدّ
حاجةُ البشر إليها في هذا الزمان ..

يا أهل غزّة .. نسأل الله تعالى أن يتقبّل تضحياتكم العزيزة
.. وأن يربطَ على قلوبكم .. وأن يُؤتِيكم ثوابَ الدُّنيا وحُسنَ
ثوابِ الآخِرة ..

وإنّ قلوبنا معكم يا أهل غزّة .. فاللهم برِّداً وسلاماً عليكم ..
اللهم برِّداً وسلاماً على غزّة .. اللهم برِّداً وسلاماً على الضّفة
.. اللهم برِّداً وسلاماً على القدس .. اللهم برِّداً وسلاماً على
فلسطين ..

اللهم رُدِّ كَيْدَ المعتدين .. وارِبطْ على قلوبِ المكّومين .. اللهم
ارحم شهداءهم واشفِ جرحاهم واجبر كسرهم ..
اللهم نسألك صلاةً جامعةً في المسجد الأقصى المبارك .. وقد
رُفِعَ الكرب عن القدس وانجلت الغمّة عن فلسطين .. ولا
تحسبنّ الله غافلاً عمّا يعمل الظالمون ..





قال تعالى..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا
وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

سورة آل عمران ٢٠٠.





الموضوع الثاني عشر

دروس في الصبر والاحتساب عند الشدائد

فقد قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا
وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران ٢٠٠ .
عاشت غزوة حرب الإبادة .. ولا زالت صابرة محتسبة .. لا زال
أهلها كما عهدناهم صابرين محتسبين .. رغم الأهوال التي
صبت فوق رؤوسهم صغاراً وكباراً على مدار اليوم والليلة
.. رغم الشدائد التي تفوق الاحتمال والمآسي التي تشق على
البشر ..

إن هذا الصبر والاحتساب عظة مشهودة .. وكتاب مفتوح
.. ونموذج ملهم للناس جميعاً .. وهو يذكرنا بهذه الخصلة
النبيلة .. التي لها من الفضل العظيم ما نبهنا إليه كتاب الله



تعالى في مواضع عدة .. وأشار إليه نبينا صلى الله عليه وسلم
في مقاماتٍ شتى ..

ومن فضل هذه الخصلة أن اختص الله تعالى الصابرين بالمعيرة
والحُبِّ .. قال تعالى في آية البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾
سورة البقرة ١٥٣ .. وقال عز وجل في آية آل عمران: ﴿وَاللَّهُ
يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ سورة آل عمران ١٤٦ .
يا لها من منزلة .. أن يكون المرء في معية الله تبارك وتعالى ..
وأن يحظى بحبه عز وجل .

وقد أنبأنا تعالى ببشرياتٍ للصابرين .. منها قوله عز وجل
﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ سورة البقرة ١٥٥ - ١٥٧ .

إنَّ مَنْ يَصْبِرْ وَيَحْتَسِبْ .. يَنْتَظِرُهُ فَوْزٌ عَظِيمٌ .. وَمِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو
حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ سورة فُصِّلَتْ ٣٥، وقوله عز وجل ﴿إِنَّمَا يُوفَى
الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ سورة الزمر ١٠ . والصبْرُ على



أنواع وُضُروب .. فَمِنَّهُ الصَّبْرُ عَلَى التَّزَامِ الطَّاعَاتِ وَاجْتِنَابِ
المَعَاصِي .. وَمِنْهُ الصَّبْرُ عِنْدَ الغَضَبِ أَوْ كَظْمِ الغَيْظِ .. وَمِنْهُ
الصَّبْرُ عِنْدَ المَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ .. وَمِنْهُ الصَّبْرُ عَلَى المَحَنِ
وَالابْتِلَاءَاتِ .. وَمِنْهُ الصَّبْرُ عَلَى العِلْمِ وَالعَمَلِ وَالكُسْبِ ..
وَقَدْ اِمْتَاَزَ أَهْلُ غَزَّةَ بِالصَّبْرِ عَلَى أَشَدِّ المَحَنِ وَالابْتِلَاءَاتِ
وَالمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ .. مِنْ فَقْدِ الأَهْلِ وَالوَلَدِ وَالأَحِبَّةِ ..
وَتَدْمِيرِ البُيُوتِ وَقَطْعِ الأَرْزَاقِ .. وَالعَطَشِ وَالجُوعِ وَالبُرْدِ
وَالأَسْقَامِ .. وَاحْتِمَالِ التَّرْوِيعِ الَّذِي طَارَدَهُمْ فِي كُلِّ لِحْظَةٍ ..
فَلَمْ يَحْظُوا بِفِرْصَةٍ وَلَوْ كَانَتْ يَسِيرَةً لِرَاحَةِ الأَبْدَانِ وَإِغْمَاضِ
الأَجْفَانِ .. فَالسَّقُوفُ قَدْ تَهَوَّى عَلَى رُؤُوسِهِمْ فِي كُلِّ حِينٍ ..
وَلِهَيْبِ القَصْفِ قَدْ يَلْتَهُمُ أَبْدَانَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ..
فَتَأَمَّلُوا يَا عِبَادَ اللَّهِ .. تَأَمَّلُوا أَحْوَالَ هَؤُلَاءِ الصَّابِرِينَ المَحْتَسِبِينَ
.. فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى أَيَّاماً وَلِيَالِي تَحْتَ الأَنْقَاضِ .. بِلَا شَرْبَةِ
مَاءٍ وَلَا لُقْمَةٍ غِذَاءٍ .. وَلَا سَبِيلَ لاسْتِنْقَاذِهِمْ .. وَتَلَهَّجُ أَلْسِنَتُهُمْ
وَأَفْتَدْتُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى أَنْ تَصْعَدَ الرُّوحُ التَّوَّاقَةُ إِلَى البُشْرَى
مِنَ اللَّهِ .. فَتُفَارِقَ الأَبْدَانَ المَنْهَكَةَ إِلَى طَلَبِ الأَجْرِ العَظِيمِ مِنْ
بَارئِهَا ..



وإن أُخْرِجَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْ تَحْتِ الْأَنْقَاضِ .. تَجِدُ الْأَهْلِيَّ مِنْ
حَوْلِهَا صَابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ .. مُحْتَسِبِينَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى .

وإنَّا لنحسب أهل غزاة من الصَّابِرِينَ فِي الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ
وَحِينَ الْبِأْسِ .. وَهَؤُلَاءِ مِمَّنْ قَالَ فِيهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ سورة البقرة ١٧٧ .

الذين صدقوا .. لأنهم صبروا على المكاره التي نزلت بهم
.. والأهوال التي صبت عليهم .. والأذى الذي تعقبهم
.. صبروا على ذلك واحتسبوه عند الله تعالى .. وهذا من
الفلاح في امتحان البلاء .. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ سورة محمد ٣١ .

وقد جعل من ثواب الصابرين ما أوردَهُ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى فِي
آيَةِ الرَّعْدِ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ سورة الرعد ٢٣-٢٤ .
ومن الصبر .. صبرُ الأنبياء .. كما في ثناءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ
أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ
أَوَابٌ﴾ سورة ص آية ٤٤ .



وَلَوْ تَأَمَّلْنَا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى .. لَوَجَدْنَا أَنَّ الصَّبْرَ جَاءَ مَقْرُونًا
فِي مَوَاضِعَ عَدَّةٍ مِنْهُ بِأُمُورٍ عَظِيمَةٍ .. فَيَأْتِي الصَّبْرُ مَعَ الصَّلَاةِ
.. وَيَأْتِي مَقْرُونًا بِالتَّقْوَى .. وَيَأْتِي مُلَازِمًا لِشُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ..
وَنَجِدُ الصَّبْرَ مَعَ المَرَحَةِ .. وَنَجِدُهُ مَعَ الصَّدَقِ .. وَفِي هَذَا
كُلِّهِ مَا يُوَكِّدُ مَنزِلَةَ الصَّبْرِ .. وَأَنَّ هَذِهِ الخِصْلَةَ تَجْسِيدُ عَمَلِيٍّ
لِلصَّلَاحِ وَالاستِقَامَةِ ..

وَإِنَّا إِذْ نَرَى مِنْ أَهْلِ غَزَّةٍ هَذَا الصَّبْرَ العَظِيمَ .. فَإِنَّهُ يُلْهِمُنَا
وَيُلْهِمُ النَّاسَ فِي التَّأْسِّيِّ بِهِمْ .. وَنُدرِكُ أَنَّ صَبْرَهُمْ مَا كَانَ لَهُ أَنْ
يَكُونَ .. دُونَ إِيمَانٍ عَمِيقٍ .. وَيَقِينٍ رَاسِخٍ .. وَأَنَّ احْتِسَابَهُمْ كُلِّ
مَا لَقَوْهُ مِنَ المَصَائِبِ وَالأَذَى عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَكُونَ
.. دُونَ انْفِتَاحِ أَفئِدَتِهِمْ وَعَقُولِهِمْ عَلَى حَقِيقَةِ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ دَارُ
فَنَاءٍ لَا دَارَ بَقَاءٍ .. وَأَنَّ الآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ..

أَمَّا وَقَدْ أدرَكْنَا صَبْرَهُمْ وَاحْتِسَابَهُمْ وَتَضَحِيَاتِهِمْ .. فَإِنَّ عَلَيْنَا
أَنْ نُدرِكَ وَاجِبَنَا نَحْوَهُمْ .. وَاجِبَنَا فِي أَنْ نُسَانِدَهُمْ فِي اصْطِبَارِهِمْ
وِثْبَاتِهِمْ .. وَأَنْ نَسْعَى فِي التَّخْفِيفِ عَنْهُمْ بِكُلِّ مَا يُمْكِنُ تَقْدِيمُهُ
لَهُمْ .. وَأَنْ نَرَفَعَ أَصْوَاتَنَا لِدَعْمِ الحَقِّ وَالعَدْلِ وَفِي مَوَاجَهَةِ



الظُّلم والعدوان .. وأن يدركوا أنهم ليسوا وحدهم .. وأنَّ لهم أُمَّةٌ تَقِفُ إلى جانبِهِم .. وضائِرَ حرَّةٍ تَلْتَفُّ حَوْلَ قَضِيَّتِهِم العادلة .. كي لا يَناهِم شعورُ الخُذلانِ الميرير .. فالوقوفُ إلى جانبِ فلسطينَ وشعبِها .. ومساندَةُ غزَّةِ الجريحَةِ وأهلِها .. هو من أعظمِ الواجباتِ في ظلالِ حربِ الإبادة الوحشية وما بعدها ..

يا أهلَ غزّة .. يا شعبَ فلسطين .. لا تَهِنُوا ولا تَحزنُوا وأنتم الأعلون بآيمانكم ..

يا أهلَ غزّة الصابرين .. بُشْرَاكُمْ اليومَ مِنَ اللَّهِ تعالى .. أَلَمْ يَقُلْ عَزَّ وَجَلَّ في كتابِهِ الكريمِ: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾؟
سورة البقرة ١٥٥

يا أهلَ غزّة .. إن يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَد مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ .. وتلكَ الأيامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ .. وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ..



يا أَهْلَ غَزَّةَ .. نَسأَلُ اللهَ تَعَالَى أَن يَتَقَبَّلَ تَضَحِياتِكُمُ العَزِيْزَةَ .. وَأَن يَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمُ .. وَأَن يُؤْتِيَكُمُ ثَوابَ الدُّنْيا وَحُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ ..

اللهم رُدِّ كَيْدَ المَعْتَدِينَ .. وَارْبِطْ عَلى قُلُوبِ المَكْلُومِينَ .. اللهم ارحم شهداءهم واشفِ جراحهم واجبر كسرهم .. اللهم نسألك صلاةً جامعةً في المسجد الأقصى المبارك .. وقد رُفِعَ الكَرَبُ عَن القُدسِ وانجَلتِ العُمةُ عَن فلسطين .. ولا تحسبنَّ اللهَ غافلاً عما يعمل الظالمون ..



قال تعالى ..

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ
وَالْبَحْرَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾

سورة الإسراء ٧٠.



الموضوع الثالث عشر

مساسٌ فظيعٌ بكرامة الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾

فقد قال تعالى في مُحْكَم التَّنْزِيلِ .. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ
وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ سورة الإسراء ٧٠ .
إنه تكريمٌ صريحٌ مِنَ الْخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْبَشَرِ .. تَكْرِيمٌ
لِلْإِنْسَانِ .. حِصَانَةٌ لِحَقِّهِ فِي الْحَيَاةِ .. وَعِصْمَةٌ لِذِمَّتِهِ وَرُوحِهِ ..
وَتَقْدِيرٌ لِمَكَانَتِهِ وَكَرَامَتِهِ ..

نَقِفُ مَعَ هَذَا الْمَعْنَى الْعَظِيمِ .. وَقَدْ شَهِدْنَا كَيْفَ يُسْحَقُ
الْإِنْسَانُ فِي غَزَّةٍ وَتُهُدَّرُ كِرَامَتُهُ .. بِأَلَةِ الْقَتْلِ وَالْفَتْكِ وَالتَّدْمِيرِ
.. الَّتِي عَمِلَتْ عَلَى مَدَارِ السَّاعَةِ دُونَ رَادِعٍ مِنْ قَانُونٍ أَوْ ضَمِيرِ

..



كان هذا هو ما حرّك قضاةً من أقصى الأرض .. من جنوب أفريقيا .. حملوا نداء الضمير .. وصيحة العدالة .. وتوجّهوا بها إلى محكمة العدل الدولية .. لعلّ العالم يتحرّك لوقف المقتلة الرهيبة .. وكبح الإبادة الفظيعة .. بعد أن تقاعست هيئاتُ عالمنا عن وقف هذه البشاعة المرعبة ..

إنّ ما جرى في غزّة .. دخل تاريخ البشر بلا ريب .. دخله في هيئة مذبحه مرئية لعيون العالم ومسموعة لأذانه .. مذبحه اقتربت بحضور البث المباشر .. شوهدت فظائعها لحظة بلحظة .. هي المذبحة التي غلّفت بالمزاعم المضلّلة .. التي أحالت الضحية إلى جانٍ والجاني إلى ضحية .. وجعلت الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى في غزّة أهدافاً مشروعة للعدوان .. بحبكة من المراوغة والتضليل .. وجعلت المستشفيات والعيادات والمدارس والمساجد والكنائس والأديرة .. جعلتها جميعاً أهدافاً مستساغة للقصف والقتل والتدمير ..

وقد رأينا الكثير الكثير ممّا تنتفض لهؤلاء الأبدان .. ويرتعد من وطأته الوجدان .. وممّا رأينا مثلاً: .. أمّ ترفع الراية البيضاء



.. ومعها طفلها الذي يرفعُ الرايةَ البيضاءً أيضاً .. رأيناها
يسيران على طريقٍ مكشوفةٍ مخصّصةٍ للنازحين في قطاعِ غزّة
.. بحثاً عن مأوىٍ يحتميان به .. وإذ بقنّاصةٍ جيشِ الاحتلالِ
يتصيّدونَ الأمَّ بدمٍ باردٍ .. فتكوا بها بإطلاقِ النارِ عليها في
تسديدةٍ آثمةٍ .. فعَلَّها الجيشُ المجرمُ .. وطفلها ذاهلاً بين
يديها ..

رفعت الأمُّ الرايةَ البيضاءً .. ورفعَ الطفلُ رايةً مثلها .. ليقولَ
لأولئكم القتلَةَ المجرمين: لا تقتلوني وأمِّي! .. لكنهم أجهزوا
على الأمِّ .. أجهزوا على الإنسانية .. أجهزوا على كرامةِ
الإنسان .. وانتهكوا عِصْمَةَ الدِّماءِ والأرواحِ ..
هوى بدنُ الأمِّ على الثرى المُخضَّبِ بدمائها الزكية .. وبقيَ
الطفلُ ذاهلاً حَوْلَ جثمانها .. وقد أدركَ أَنَّهُ ضحيةٌ عالمِ سَمَحِ
بهذهِ الفظاعةِ .. سَمَحَ لها بأنْ تقعَ .. وسمحَ لها بأنْ تستمرَّ ..
وسمَحَ لها بأنْ تُبرَّرَ ..

إنَّ مَنْ يرى هذا المشهدَ الرهيبَ وما يُبْأِثلهُ .. يُدركُ أَنَّهُ نقطةٌ
في بحرٍ ما اقْتُرِفَ ساعةً بساعةٍ .. لحظةً بلحظةٍ .. اقْتُرِفَ
مثلُه وزيادةً .. هنالكُم في فلسطين .. هنالكُم في قطاعِ غزّة ..



ومعظمه جرى دون أن تحمله إلينا الصُّورُ والمقاطعُ المرئية ..
فما علمناه أن آفاً من النساءِ والأطفالِ والشيخوخِ والمرضى
.. هوت السقوفُ والجدرانُ على رؤوسهم وأبدانهم .. وظلَّ
بعضهم ساعاتٍ أو أياماً على هذه الحال دون أن يتمكن أحدٌ
من الوصولِ إليهم وانتشالهم .. وبين هؤلاءِ أطفالٌ كثرٌ مع
أمهاتهم .. ولنا أن نتخيلَ طفلاً يرقُبُ أنفاسَ أمِّه الأخيرة ..
وهو عالقٌ معها بين الأنقاض ..

لندكرَ هذا ونحن نرى مشاهدَ أولئكم الأبرياء من الصغار
.. الذين يُحتفى بإخراجهم أحياءً من تحت الركام .. فقد
رأوا أهوالاً لا يحتملها الراشدون .. وأخذوا يُعدُّون أنفاسهم
عدداً .. فمنهم من أُخرج إلى الحياة من جديد .. وكثيرٌ منهم
أُخرجت أبدانهم أو أشلاءٌ منها .. دون رمقٍ حياة .. أو بقيت
حتى تحللت حيثُ هي دون سبيلٍ لانتشالها ..

إن هذه الوقائعَ والمشاهدَ .. هي ما حركَ القضاةَ من أقصى
الأرض .. من جنوبِ أفريقيا .. وتوجَّهوا إلى محكمة العدل
الدولية .. في التماسٍ أخيرٍ إلى عالمنا .. اختبروا فيه قيمه



ومواثيقه .. وفحصوا حسه وضميره ..
وهذه المشاهد .. هي ما حرك سيول البشر في ميادين الأرض
.. الذين صاحوا ولا يزالون صائحين: أن كفى! .. كفى لهذه
الفضائع! ..

وقد وجب القول .. إن من يقترف هذه الفضائع .. ويدعمها
ويبررها ويلتمس لها الأعذار .. هم شركاء في امتهان كرامة
الإنسان .. وقد قال تعالى في محكم التنزيل ❀ ولقد كرمنا بني
آدم ❀

إن من ارتضوا حدوث هذا وترافعوا في تبريره وتسويغه أو
التهوين من أمره .. ورفضوا تسمية الأشياء بأسمائها ووصف
الواقع كما هو .. إنما أسقطوا قيم الإنسانية ومواثيقها وداسوا
قانونها ومزقوا دستورها وأطاحوا بشعاراتها ..

إن صيحة الضمائر الحية .. من رواد حق وعدل وقانون من أمم
الأرض .. ومعهم كل من كتب وقال وترافع وتظاهر لأجل
الحقوق والعدالة .. هذه الصيحة هي إشارة حياة في عالمنا ..
وعلامه ضمير يقظ وحس واع .. وقد جرت جنوب أفريقيا



تحديداً ألواناً من الظلم والعدوان والطغيان والعنصرية من قبل .. فلا عَجَب أن يكون الوازعُ لديها حياً ومحرّكاً على هذا التحركِ المبدئيِّ المشرف ..

هي حربُ فظائعٍ وحربُ إبادة .. وفيها جبالٌ من المظالم .. التي ستُعلّقُ برقابِ الجنّاةِ وداعميهم يومَ العرضِ على الله .. فما يَضِيعُ عندَ الناسِ لا يَضِيعُ عندَ الله .. وهُم إن أفلتوا من عدالةِ الأرضِ فلن يُفتلوا من عدالةِ الآخرة ..

وفي الحديثِ القدسيِّ الذي رواه الطبرانيُّ .. عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال رَبُّكَ تبارك وتعالى: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظالمِ في عاجِلِهِ وآجلِهِ، ولَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رأى مظلوماً فَقَدَرَ أن يَنْصُرَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ).

إنَّ من واجِبنا وواجِبِ كلِّ صاحبِ ضميرٍ .. أن نُسانِدَ أهلَ غزاةٍ في هذهِ المظلمةِ .. وأن نَسعى في التخفيفِ عن شعبِ فلسطينَ بكلِّ ما يمكنُ تقديمُه له .. وأن نرفعَ أصواتنا لدعمِ الحقِّ والعدلِ وفي مواجهةِ الظلمِ والعدوانِ .. وأن يُدركَ هذا الشعبُ المكلومُ أنَّه ليس وحده .. وأنَّ له أُمَّةً تَقِفُ إلى جانبه



.. وَأَنَّ ثَمَّةَ ضَمَائِرَ حَرَّةً تَلْتَفُّ حَوْلَ قَضِيَّتِهِ .. كِي لَا يَنَالَ مِنْهُ
شَعُورُ الْخُذْلَانِ الْمَرِيرِ .. فَالْوَقُوفُ إِلَى جَانِبِ فِلَسْطِينَ وَشَعْبِهَا
.. وَمَسَانِدُ غَزَّةِ الْجَرِيحَةِ وَأَهْلِهَا .. هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْوَاجِبَاتِ
عَلَيْنَا جَمِيعاً ..



قال تعالى ..

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ
يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

سورة الجمعة ٩



الموضوع الرابع عشر

إبادة المساجد والعلماء والأئمة والحفاظ

فقد قال تعالى في مُحْكَم التنزيل .. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ سورة الجمعة ٩
فقد رُفِعَ الأذانُ في مسجِدِنَا .. وارتقيتُ منبرَه .. وهممتُ بإلقاءِ
الخطبةِ .. وأجدُ المصاحفَ الشريفةَ مُتاحةً للمصلين .. الذين
يجتمعون اليومَ في صلاةِ الجمعةِ في أمانٍ واطمئنان .. سائلاً اللهَ
تعالى أن يتقبلها منّا جميعاً ..

إنَّ هذا المشهدَ الوقور .. الذي يَنْتَظِرُهُ الواحدُ منا أسبوعاً بعدَ
أسبوع .. ما عاد مُتاحةً هنالك .. في تلكم البقعةِ من الأرضِ



.. التي دَمَّرَ الغزاةُ مساجدَها .. وأطاحوا بماَذنَها .. وفجَّروا
قِبَابَها .. إنها قطاعُ غزّة .. التي حرمها المحتلُّونَ من المساجدِ
ومن إقامةِ الصلاةِ الجامعة .. طوالَ حربِ الإبادةِ المديدةِ التي
استهدفتُها ..

شَنَّ جيشُ الإبادةِ حربَه على بيوتِ الله أن تُرْفَعَ ويُذكَرَ فيها
اسمُه .. فدَمَّرَ مساجدَ قطاعِ غزّة عن آخرِها إلا قليلاً .. واتَّخذَ
من بعضها حصوناً للحربِ والإغارةِ على الأهالي .. وأحالَ
آلِفاً مؤلِّفةً من المصاحفِ الشريفةِ إلى أوراقٍ ممزّقةٍ محترقة ..
بين الأنقاضِ والأشلاء .. ولا حَوْلَ ولا قوَّةَ إلا بالله!

وَمِن شواهِدِ الحربِ الشعواءِ على المساجدِ والمصاحفِ ..
أن يُقتَلَ إخواننا العلماءُ والأئمةُ والخُطبَاءُ والمؤذِّنونَ ومحفظو
القرآنِ الكريم .. ومنهم قاماتٌ معروفةٌ في مَرَاتِبِ العِلْمِ
والفِضْلِ والعَمَلِ .. قُصِفوا وأيِّدت أُسْرُهُم معهم عن آخرِها
.. وإن سألْتَ في غزّة اليومَ عن إمامِ مسجدٍ أو خطيبِ منبرٍ
.. قد يجيبونكَ بأنّه ارتقى مَعَ مَنْ ارتَقُوا .. وتقدّمَ المصلِّينَ في
قافلةِ التضحياتِ .. التي شاهدناها جميعاً يوماً بيومٍ وساعةً



بساعة .. عبر البثّ المباشر .

ثمَّ إنَّ هذه الحربَ التي أحرقت المصاحفَ ومزقتَها .. لم تتوانَ
عن إبادةِ حُفَّازِ كتابِ الله تعالى وإيقاعِ القتلِ والإصابةِ بهم ..
فهي غزوةٌ .. أرضُ الحُفَّازِ .. الذين يحملون كتابَ اللهِ تعالى في
صدورهم وقلوبهم ..

لم يُرَفَعِ الأذانُ في أرجاءٍ واسعةٍ من قطاعِ غزوةٍ .. طوال حرب
الإبادة .. فلا مآذنُ ولا قِبابٌ ولا منابرٌ .. أبقاها أولئكم
المعتدون على البشرِ والحجرِ والشجرِ .. على أمتهم إذ فعلوا
فَعَلَّتْهُمُ الشنعاءُ هذه .. عجزوا عن المساسِ بإيمانِ القومِ
الصابرينَ المحتسبين .. ولم ينجحوا في تقويضِ مكانةِ المسجدِ
ودوره في مجتمعهم .. فقد تنهاوى جدرانُ المساجدِ حقاً .. دون
أن تتقوض رسالتُها في الواقع .. فهي رسالةٌ حيَّةٌ مُتحرِّكةٌ بين
الناس .. نجدُها في صبرِ المكلومين .. وفي احتسابِ المفجوعين
.. وفي ثباتِ الصامدين .. وفي عِزَّةِ المؤمنين .. وفي إيمانِ تُرى
أماراته ويقينِ تُبصرُ علاماته ..

أطِحَ بالمآذنِ بقصفِ همجيٍّ .. وبقيتْ أطيافُ مناراتِ شامخةً



في وجدانِ المصلِّين أو مَنْ تبقى منهم في دُنيا الناس .. بقيت
شاحخةً في الوَعي .. بانتظار أن تُبتنى من جديد .. أن تنهضَ من
جديد .. أن تعلوَّ من جديد ..

إنَّ ما جرى في غزّة .. من تدميرٍ وإبادة .. بحقِّ المساجدِ
والمصاحفِ والأئمّةِ والخطباءِ والمؤذنين وحفظةِ كتابِ الله تعالى
.. هو مسلكُ العدوانِ والحقدِ ذاتهُ الذي دأبَ عليه جيشُ
الغزاة .. في جولاتِ عدوانه التي أعقبَ بعضها بعضاً .. منذ
أن دمّرت عصابتهُ الأولى مساجدَ فلسطينَ في المدنِ والقرى
والبلدات .. خلال نكبةِ ثمانيةٍ وأربعين وتسعمائةٍ وألف
(١٩٤٨) .. واقتُرفت في بعضها المجازرَ الجماعية .. ثمَّ أحالت
عدداً من المساجدِ إلى متاحفَ وخمّاراتٍ وأوكارٍ للمُنكر .. وإلى
اسطبلاتٍ وغير ذلكم. إنّه المسلكُ الذي شهدناه جميعاً خلال
حرب الإبادة .. مع الجامعِ العُمريِّ الكبيرِ في غزّة .. وهو
أعرقُ مساجدِ القطاعِ وأكبرها .. وهو معلّمُ غزّةِ التاريخيِّ
أيضاً .. صار الجامعُ الكبيرُ أطلالاً وأنقاضاً .. في عدوانِ على
الدِّين وعلى التراثِ وعلى التاريخِ وعلى الحضارة ..



ومما انفطر له الفؤاد .. عَجَزُ الناسِ عن انتشالِ المصلِّين من
تحت الأنقاضِ بعدَ قصفِ المساجدِ .. فبقيَ الرُّكْعُ السجودُ
عالقينَ تحت الرُّكامِ .. شاهدينَ في موقفهم هذا على بشاعةِ
العدوانِ وجرائمِ حربِهِ ..

إنَّ العدوانَ على المسجدِ يتغي في حقيقته تدميرَ المجتمعِ من
الداخلِ .. وحرمانه مصادِرَ نمائه .. وإفقاده منابعَ قُوَّتِهِ ..
عطفاً على تدميرِ المدارسِ والمعاهدِ والجامعاتِ .. لكنَّها حيلةُ
العاجزينَ الذين يحسبون أنَّ القصفَ والهدمَ يقوِّضُ إيمانَ
المؤمنينَ وصبرَ الصابرينَ وعزيمةَ المُقدِّمينَ .. فالمساجدُ بنايسها
.. بمن يسبِّحون فيها لله تعالى بالغُدُوِّ والآصالِ .. قال عزَّ
وجل : ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ
فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ سورة النور ٣٦

ومن عادةِ غزاةٍ بعد كُلِّ جولةٍ من جولاتِ العدوانِ التي
تعاقبت عليها .. أن تُسارعَ إلى تشييدِ مساجدها المدمِّرةِ .. فترتفع
بمآذنها فوقَ ما كانت عليه .. ويحصِّلُ في فضاءاتها الطاهرةِ ..
اجتماعَ الناسِ من جديدٍ .. لإقامةِ الصلاةِ .. ومُدارسةِ العلمِ ..



وحفظ القرآن الكريم .. وتُنشئة الأجيال .. وفي هذا ما يؤكّد
انتصار الإنسان المؤمن على المعتدي الذي ينتهك حُرْمَاتِ الله
تعالى .. وفي هذا ما يُظهرُ أنّ المساجدَ قد تُدمّرُ لكنّ مكانتها لا
تزدادُ بهذا إلا رسوخاً في الأفئدة والعقول ..

هذا عهدنا بغزّة وأهلها .. ولن نتوانى جميعاً بإذن الله .. عن أن
نكون من أوائل المبادرين في تعمير مساجدها عن قريب بإذن
الله .. كي يُرفع الأذان من جديد .. وتُقام الصلوات الجامعة ..
وتجتمع الأجيال على ذكر الله ..

وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون .. وستُعلق هذه
الأوزارُ برقاب الجنّة وداعميهم يوم العرض على الله .. فما
يضيع عند الناس لا يضيع عند الله .. وهم إن أفلتوا من عدالة
الأرض فلن يُفلتوا من عدالة الآخرة ..





قال صلى الله عليه وسلم
«مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سَرْبِهِ، مُعَافَى فِي
جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ
لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِرِهَا»

أخرجه الترمذي





الموضوع الخامس عشر

دروسٌ في تقديرِ النعم

يصحو أحدنا فجراً لأداء الصلاة .. يقوم من سريره الدافئ حامداً الله تعالى الذي أحيانا بعد ما أماتنا .. يتحركُ في حُجراتِ البيت .. يتحركُ أمناً تحت سَقْفِهِ وبينَ جُدُرَانِهِ .. يَهْمُّ بالوضوءِ بهاءٍ طاهر .. وقد يَرْتَشِفُ الماءَ العَذْبَ الزُّلال .. يصليّ ويتناولُ لُقْمَةً مِنْ طعامٍ أو جُرْعَةً مِنْ شراب .. وقد يُلْحِقُ هذا بما قرَّرَهُ له الطيب من دواءٍ يَتيسَّرُ الحصولُ عليه ..

ويُباشِرُ تَفَقُّدَ هاتِفِهِ .. والاطمئنانَ على ذويه وأحبَّائِهِ .. ومتابعةَ شواغلِهِ واتصالاتِهِ .. ثمَّ يتحركُ في مسالكِ المدينةِ آمناً مطمئناً .. ماشياً على ساقين .. أو راكباً في وسيلةِ نقلٍ من أيِّ نوعٍ



تيسر .. لِيَبْلُغَ وجهته في الحياة اليومية ذهاباً وإياباً ..
هذا ما عليه الناس في معظمهم .. وقد لا تجد أكثرهم يُحمدُ
الله تعالى على هذه النعم العظيمة التي لا حصر لها .. أو يشكرُ
المنعم الكريم على ما أتاه من فضله .. لا يُكثرتُ بها لأنها نعم
سابعة مألوفة .. اعتادها الواحد منا وألفها ..

إن البيت الذي تأوي إليه .. والسقف الذي تستظلُّ به ..
والجدار الذي تستندُ إليه .. والنافذة التي تُطلُّ منها .. والدفء
الذي تلتحفُ به .. هي نعمٌ عظيمةٌ لا يدرك قيمتها كثيرٌ من
الناس كما ينبغي .. لأنها عندهم معهودةٌ مألوفة ..

إن الماء الذي تجده حين تطلبه .. وتستعمله كما ترغب .. ومجعله
يتسللُ إلى جوفك عذباً زلالاً ليروي عطشك دون عناءٍ منك ..
هو من أعظم النعم .. وقد جعل الله تعالى منه كلَّ شيءٍ حيٍّ ..
ويسره لنا للطهارة والنظافة وسائر الاستعمالات .. وقد يهدر
في غير الوجوه النافعة بلا ترشيد ..

ومن النعم لُقمةُ الغذاء التي تتخيرها لسدِّ جوعتك .. وإشباع
شهيتك .. وترميم بدنك .. ولو أنك دققْتَ النظرَ في كسرة



الْحُبْزِ الْمَهْمَلَةِ عَلَى مَائِدَةِ طَعَامِكَ لِأَدْرَكَتَ مَا لَا يَلْحَظُهُ كَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ .. فَهَذِهِ الْكِسْرَةُ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى ..
هِيَ نِعْمَةٌ سُخِّرَتْ فِي سَبِيلِ إِنتَاجِهَا لِتَصِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا؛
دَوْرَةُ إِنتَاجِ مَمْتَدَّةٌ .. مِنْ تَهْيِئَةِ الْأَرْضِ .. وَبَذْرِ الْحَبِّ فِيهَا ..
وَتَعَهُّدِهَا بِالْعِنَايَةِ وَالسَّقَايَةِ .. فَسُتَبَّتْ بِأَمْرِ اللَّهِ عِنْدَمَا يَحِينُ
حِصَادُهَا وَتَجْهِيْزُهَا .. ثُمَّ يَقَعُ نَقْلُهَا وَتَوْرِيْدُهَا .. ثُمَّ تَخْزِينُهَا فِي
الصَّوَامِعِ وَطَحْنُهَا .. ثُمَّ يُصْنَعُ مِنْهَا الْحُبْزُ الَّذِي يَصِلُنَا جَاهِزًا
.. وَقَدْ لَا يُكْتَرَثُ بِدَوْرَةِ إِنتَاجِهَا الَّتِي هِيَ نِعْمَةٌ مُرْكَبَةٌ .. لَا
يُكْتَرَثُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَسِوَاهَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .. لِأَنَّهَا
مَعْهُودَةٌ مَأْلُوفَةٌ!

ثُمَّ يَأْتِي بَعْضُهُمْ وَيُسْرِفُ فِي هَذْرِ الْحُبْزِ وَالطَّعَامِ .. لِأَنَّهُمْ لَا
يُقَدِّرُونَ النِّعْمَةَ وَلَا يَحْفَظُونَهَا وَلَا يَشْكُرُونَ اللَّهَ عَلَيْهَا!

لَقَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ النِّعَمِ وَبِكَثِيرٍ سِوَاهَا .. مِمَّا لَا يَسْعُنَا
حَظُّهُ وَتَعْدَادُهُ .. وَلَوْ قَضَيْنَا السَّاعَاتِ الطَّوَالَ فِي سَرْدِهَا ..
أَوْ أَفْرَغْنَا الْمَحَابِرَ فِي شَرْحِهَا .. أَوْ سَطَّرْنَا الْكُتُبَ فِي بَيَانِهَا ..

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى .. الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى



كَرَمِهِ وَفَضْلِهِ وَعَطَائِهِ .. مَا عَلِمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ .. الْحَمْدُ
لِلَّهِ عَلَى قُلُوبٍ تَخْفُقُ فِي أَجْوَانِنَا بِانْتِظَامٍ بَاهِرٍ مِنْذُ أَنْ كُنَّا أَجِنَّةً
فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِنَا .. وَعَلَى أَنْفَاسٍ تَتَدَفَّقُ عَبْرَ صُدُورِنَا مِنْذُ أَنْ
أَطْلَقْنَا صَيْحَتَنَا الْأُولَى فِي هَذَا الْعَالَمِ .. وَعَلَى أَبْدَانٍ وَأَطْرَافٍ
تَتَنظَّمُ فِي حَرَكَتِهَا .. وَإِنْ تَعَطَّلَ بَعْضُهَا فَإِنهَا تَرشِدُنَا إِلَى عَمَلٍ مَا
تَبْقَى مِنْ سَائِرِ الْجَسَدِ .. يَا لَهَا مِنْ نِعَمٍ عَظِيمَةٍ .. وَفِي أَنْفُسِكُمْ
أَفْلا تُبْصِرُونَ .. يَا لَهَا مِنْ نِعَمٍ عَظِيمَةٍ .. وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
لَا تُحْصِوْهَا ..

لَقَدْ أَسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْنَا نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً .. لَكِنْ مِنْ عَادَةِ الْبَشَرِ
أَنْ يَزْهَدُوا بِالنِّعَمِ إِنْ اِعْتَادَوْهَا وَأَلْفَوْهَا .. دُونَ أَنْ يَلْحَظُوا مَا
هُم عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ السَّابِغَةِ .. وَقَدْ تَجِدُ أَحَدَهُمْ وَقَدْ انْتَابَهُ هَمٌّ
وَعَمٌّ .. أَوْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ قُنُوطٌ وَجَزَعٌ .. وَهُوَ يَرْفُلُ فِي أَثْوَابِ
النِّعْمَةِ .. أَوْ تَجِدُهُ يُكْثِرُ الشُّكْوَى .. وَهُوَ فِي نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ وَسِرِّ ..
أَوْ تَجِدُهُ عَابِسًا مَتَذَمِّرًا .. لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ الْمَزِيدَ وَالْمَزِيدَ مِنْ حُطَامِ
الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ .. إِنْ هُوَ لَاءٌ وَهُوَ لَاءٌ اِعْتَادُوا النِّعْمَةَ .. وَأَلْفَوْهَا
.. وَاسْتَهَانُوا بِهَا .. وَلَمْ يُقَدِّرُوا حَقَّ قَدْرِهَا .. وَلَمْ يَشْكُرُوا اللَّهَ
تَعَالَى عَلَيْهَا حَقَّ الشُّكْرِ .. وَقَدْ يَتْلُو أَحَدُهُمْ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ



من كُلِّ رُكْعَةٍ صَلَاةٍ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» .. دون أن يَعِيشَ
المعنى أو يَفْقَهُه كما ينبغي .. وقد يقول بعد الركوع: «رَبَّنَا
وَلَكَ الْحَمْدُ» .. فيبقى الحمدُ باللسانِ دونَ حضورِ الوجدان!

وقد جاءَ التذكيرُ بالنَّعمِ في مواضعَ وفيرةٍ من كتابِ الله تعالى
.. ومنها آيةُ المائدةِ وآيةُ الأحزابِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ..﴾

وَمِنَ أَعْظَمِ الدَّرُوسِ فِي اكْتِشَافِ النَّعْمِ الَّتِي تَغْمُرُنَا .. أَنْ نَتَأَمَّلَ
جَمِيعاً مَا جَرَى فِي فِلَسْطِينَ .. أَنْ نُذَقَّ مَا وَقَعَ عَلَى أُخُوتِنَا فِي
قِطَاعِ غَزَّةٍ .. طَوَالَ حَرْبِ إِبَادَةٍ مَدِيدَةٍ رَهيبَةٍ .. لِنَكْتَشِفَ مِنْ
وَأَقَعِ الْمِحْنَةِ الْجَسِيمَةِ الَّتِي اكْتَنَفَتْهُمْ .. وَالْمَأْسَاةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي
أَنْزَلَتْ بِهِمْ ظُلْماً وَعُدْوَاناً .. وَالْمَعَانَاةِ الْفَظِيعَةِ الَّتِي أُوقِعَتْ
عَلَيْهِمْ جَوْرًا وَطُغْيَانًا .. لِنَكْتَشِفَ كَمْ يَسْتَهينُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ
مِنْ حَوْلِنَا بِالنَّعْمِ .. وَكَمْ يَغْفُلُ بَعْضُنَا عَنْ مَأْلُوفِهَا وَمَعْهُودِهَا .
إِنَّهَا غَزَّةٌ إِذْ جَادَتْ عَلَيْنَا وَعَلَى مَجْتَمَعَاتِ الْأَرْضِ بِدُرُوسٍ
وَعِظَاتٍ .. تَأْمَلْنَاهَا أُسْبُوعًا بَعْدَ أُسْبُوعٍ .. وَقَدْ أَبْصَرْنَا شَعْبًا



كريمًا أبيعاً عزيزاً عفيفاً صابراً محتسباً .. أوقع عليه العدوان هذه
المظلمة .. فحرم الكبار والصغار .. البيت الذي إليه يأوون ..
والسقف الذي به يستظلون .. والجدار الذي إليه يستندون ..
والفراش الذي به يلتحفون عند الرقاد .. حرموا شربة الماء
.. ولقمة الغذاء .. وجرة الدواء .. حرموا وسيلة النقل ..
وإن كانت لإسعافهم .. أو حمل جرحاهم .. حرموا أدوات
انتشال العالقين من تحت أنقاض القصف الوحشي .. حرموا
اتصالات يسيرة عبر الهواتف .. حرموا شبكة الإنترنت التي
لا تنهض حياة العصر بدونها .. وقد يجتمع الناس في نقطة
معيّنة على أمل التقاط شارة الاتصالات والإنترنت للتواصل
مع أهلهم وذويهم .. فتصيّدهم قذائف العدوان الهمجي ..
كما جرى ويجري على مدار حرب الإبادة الوحشية ..

تمنحنا غزوة دروساً لا تنقضي .. ومن دروسها أن تحفّزنا على
تقدير النعمة .. وأن تُذكّرنا بحمد الله تعالى عليها آناء الليل
وأطراف النهار .. حمداً بلسان الحال .. وحمداً بلسان المقال
.. فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما ينبغي لجلال وجهه



وعظيم سُلطانه .. وكيف لا نُقدِّرُ النُّعمة .. وقلوبنا مكلومة
لما قاسوه من جوعٍ وعَطَشٍ ومَرَضٍ ووباء .. وكيف لا
نُقدِّرُ الأمانَ والأمان .. وهم لم يجدوا مأوىً آمناً من القصفِ
والتهديد .. وكيف لا نُقدِّرُ ما نحنُ عليه من حَرَكَةٍ وتنقُّلٍ
في حياتنا اليومية .. وقد شاهدناهم بقلوبٍ يَعْتَصِرُها الألمُ
يُقَصِّفونَ ويُقَنِّصونَ في كُلِّ دَرْبٍ .. نساءً وأطفالاً ومرضى
وشيوخ .. فِتْكَ بهم .. وإن رَفَعوا رايةً بيضاءَ على الطريق ..
وإن اِحتموا بالمستشفياتِ ومرافقِ الأممِ المتحدة ..
وقد بيّن رسولنا صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه .. قاعدةً أساسيةً
في تقديرِ النُّعمة .. بقوله: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً في سَرِبِهِ،
مُعافىً في جَسَدِهِ عندَهُ قوتٌ يومِهِ، فَكأنَّما حَيزت لَهُ الدُّنيا) -
أخرجه الترمذي.

وَمِنْ حَقِّ أَهْلِ غَزَّةِ عَلَيْنَا .. أَنْ نَقِفَ مَعَهُمْ فِي هَذَا الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ
.. فِي هَذِهِ الْمَأْسَةِ الرَّهِيبةِ .. فِي هَذِهِ الْإِبَادَةِ الْوَحْشِيَّةِ .. وَكَيْفَ
لَنَا أَنْ نَهْنَأَ بِطَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ رُقَادٍ أَوْ شَيْءٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا ..
وَقَدْ عَشْنَا مُحْتَتَهُمْ وَمَأْسَاتَهُمْ وَمَظْلَمَتَهُمْ .. عَشْنَا مَا صَبَّ عَلَى



الأطفال والنساء والشيوخ والمرضى وعموم الناس في غزّة من
ألوان الأذى والفتك والبطش التي تنتفض لها الأبدان .. من
القتل الجماعي الذي تواصل بلا هوادة .. وتعاضم بلا رادع ..





عن النعمان بن بشير، رضي الله عنهما،
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ
مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ
سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»

متفق عليه.



الموضوع السادس عشر

الجسد الواحد في زمن الإبادة

عن النعمان بن بشير، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى» - متفقٌ عليه.

إذا اشتكى منه عضو .. تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ..
ومما يُستفاد من الحديث الشريف .. أن ما يمسّ المؤمنين من كَرْبٍ ..
حقيقٌ به أن يشغل المؤمنين والمؤمنات عموماً .. المسلمين والمسلمات
عموماً .. أينما كانوا .. وأن تنشغل الأمة المسلمة في كل مكان بذلك ..
وأن تهتمّ به ..

فكيف إن بلغ الخطبُ مبلغه .. والكربُ ذرّوته .. كما جرى في
فلسطين المحتلة من عدوان وحشي .. كما جرى في قطاع غزة ..



فالفضائع مرئية لنا جميعاً .. تنتفض من هولها الأبدان .. ويفزع
من وطأتها الوجدان ..

لم تقتصر وحشية هذا العدوان .. على التقتيل والتدمير .. ولا
تتضح بمؤثرات الضحايا والدمار وحدها .. وهي مؤثرات
رهيبة مُرعبة .. عزّ نظيرها في هذا العصر .. فما مُورس بحق
هذا الشعب المصابر في غزة .. هو في حقيقته حربٌ مركبة ..
حربٌ تقتيل .. حربٌ تدمير .. حربٌ تشريد .. حربٌ تهجير
.. حربٌ تجوع .. حربٌ تعطيش .. حربٌ أمراض وأوبئة
تُحاصر الأهالي .. حربٌ على الإنسان في وجوده وبقائه ..
حربٌ على الإنسان في حياته وسلامته .. حربٌ على الإنسان
في صحته وعافيته .. حربٌ على الإنسان في إرادته ومعنوياته
.. وهذه كلها من عناوين الإبادة الجارية .. بكل ما فيها من
وحشية وهمجية وفضاعة ..

إنّ من يتأمل حال أطفال غزة .. يدرك هذه المأساة التي افتعلها
العدوان .. يستشعر هذه الفضاعة التي اصطنعها الطغيان ..
فما من طفل في قطاع غزة .. إلا وأدرك أشلاءً من ذويه .. إلا
وشاهد قصفاً تعقبه .. وناراً ترصدته .. وتهديداً حاق به ..



وموتاً أحاطَ به .. وجوعاً نهَشَ جسده .. وبردًا تخلَّلَ بدنه ..

عايشَ أطفالُ غزّةَ من الفظائعِ ما لا يحتمله الراشدون ..
وبهم جُرِّبتِ آلةُ القتلِ وذخائرُ الفتكِ .. التي سُحِّنتِ إلى
قواعدِ الاحتلالِ الغاشِمِ من دولٍ تتباهى بالإنسانيةِ والحقوقِ
والحريّاتِ والكرامةِ البشرية .. سُحِّنتِ أدواتُ القتلِ الجماعيِّ ..
ليُمطَرَ بها الصِّغارُ والكبارُ والمرضى شهراً بعد شهرٍ .. أمطروا
بها ليلاً ونهاراً .. فهُدِرتِ بها كرامةُ الإنسان .. وقوِّضَ بها
حقُّه في الحياةِ والبقاء ..

لم يَجِدْ أطفالُ غزّةَ كِسرةَ خبزٍ تسدُّ جُوعَتَهُم .. لم يَجِدُوا القمّةَ
غِذاءً يسيرةً .. لم يَجِدُوا شُرْبَةَ لَبَنٍ .. أو بيضةً للتناوُلِ .. لا شيءَ
.. حتّى أنّهم لم يَجِدُوا بقايا علفِ الحيواناتِ - أجلكم الله -
بعد أن نفذ أيضاً ..

إنّها حربٌ تجويعٍ وحشيةٌ .. شُنّتِ على هؤلاءِ الصِّغارِ وذويهم
في زمنِ الاعتدالِ بحمايةِ الطفولةِ .. في عَصْرِ التباهي بمواثيقِ
حمايةِ الطِّفلِ وضمانِ رفاهه .. هي حربٌ تجويعٍ بالغةِ القسوةِ
.. حرمتِ الرُّضْعَ حِصَصَ الحليبِ .. وقد وجدنا تلکمُ الأمِّ
الغزّيّةِ المكلومة .. التي قَطَعَ عنها المحتلُّون الغزاةَ مَوْرِدَ



الغذاء كما بقيّة شعبيها المصابر.. فلم تجذّ لبناً تُقدّمه لرضيعها ..
فعمّدت إلى عصارة التمر لعلها تُبقي في الصغير البريء ..
رَمَقَ حياة في عالم ارتضى تجويعه والفتك به ..
حُقَّ لهذا الرضيع الفلسطيني .. المحروم من مَوردِ بقاءه ..
حُقَّ له أن يُحاكِمَ عالمنا .. وأن يُسائلَ التزامنا بما تقرّر في ديننا
الحنيف .. عن مدى الانشغال بحاله .. والاهتمام بِكُربِه ..
والسَّعي في قضيتِه .. كي تبلغ الآفاق .. وكي تخرق حُجبَ
الصمتِ والتواطؤ والتقاعس والخذلان والتضليل ..

حدث هذا وأكثر منه .. بعد موسم مديدٍ من الفظائع التي
تلاحقت .. فظائع يُنسى بعضها بعضاً .. وفي كُلِّ منها ما يكفي
لإظهارِ عِللِ عالمٍ يستمرى الظلم .. ويبيح القهر .. ويتهاون
مع الإبادة ..

كيف لإنسانٍ صاحبِ قلبٍ وضمير .. أن يَصْرِفَ عينيه عن
هذه المأساة .. التي صنعتها سياساتٌ جائرة؟ كيف لإنسانٍ
صاحبِ رأيٍ وموقفٍ .. أن يُلجِمَ لسانه أو يُعطلّ بيانه .. وهو
يَعْلَمُ بما جرى في رُكنٍ يتوسّطُ عالمه .. يُسمّى فلسطين ..
يُسمّى غزّة؟



وكيف لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر .. أن يغفل عن مغزى قوله عليه الصلاة والسلام: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ومن لم يتحرك شعوره وضميره بمقتضى إنسانيته ومبادئه وقيمه .. والتزاماً بدينه وإيمانه وعقيدته .. فليستذكر أطفالاً انتشلوا من تحت الأنقاض .. فما سيصنع لو كانوا أطفاله - سلمهم الله وسلم أحببكم جميعاً - .. وليستشعر أحدنا الصلة الوجدانية بالرضيع الذي لم يجد ما يبقيه على قيد الحياة سوى عصارة التمر .. وبالأطفال الذين باتوا جوعى .. وأفاقوا على القصف المدوي حول بيوتهم وخيامهم .. أو حملوا جرحى وأشلاءً واحداً تلو الآخر دون أن تتوقف قوافلهم ..

إن من حق أهل غزة علينا .. أن نهتم بأمرهم .. ونشغل بهم .. أن نقف معهم في هذا البلاء العظيم .. في هذه المأساة الرهيبة .. في هذه الإبادة الوحشية .. وكيف لنا أن نهنا بطعام أو شراب أو رقاد أو شيء من زينة الدنيا .. ونحن نعيش محتتهم ومأساتهم ومظلمتهم .. نعيش ما صب على الأطفال



والنساء والشيوخ والمرضى وعموم الناس في غزّة من ألوان
الأذى والفتك والبطش التي تنتفض لها الأبدان .. من القتلِ
الجماعيّ الذي تواصلَ بلا هوادة .. وتعاضمَ بلا رادع ..

إنّ من واجِبنا وواجبِ كلّ صاحب ضمير .. أن نُساندَ أهلَ
غزّة في هذه المظلمة .. وأن نسعى في التخفيف عنهم بكل ما
يمكن تقديمه لهم .. وأن نرفع أصواتنا لدعم الحقّ والعدلِ وفي
مواجهة الظلم والعدوان .. وأن يدركوا أنّهم ليسوا وحدهم
.. وأنّ لهم أمّةٌ تقف إلى جانبهم .. وضائرَ حرّة تلتفُّ حول
قضيتهم .. كي لا يناديهم شعورُ الخذلانِ المرير ..

يا أهلَ غزّة .. نسألُ الله تعالى أن يتقبّل تضحياتِكُم العزيزة
.. وأن يربطَ على قلوبِكُم .. وأن يؤتِيكُم ثوابَ الدنيا وحُسنَ
ثوابِ الآخرة ..



قال تعالى

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى
النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ
يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ
(٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ
الْعَالَمِينَ (٦)﴾.

سورة المطففين الآية ١-٦



الموضوع السابع عشر

علّة أخلاقية في سياسات عالمنا

مضت حربُ الإبادة بلا هوادة .. حربٌ وحشيةٌ مَضَتْ فوق
الأشلاءِ والأنقاض .. فكشفت عوراتِ عالمنا الأخلاقية ..
الذي سمحت سياسته الدولية بكلّ هذه الفظائع ..
ما كان لهذه الوحشية أن تنفلت من عقابها على النحو الذي
شهدناه .. بدون التهاونِ معها .. والتساهلِ مع مقدماتها ..
والتماسِ الأعذارِ لها .. وحشدِ الذرائعِ لفظائعها ..
أفهمتنا سياسة الانحياز .. أن أرواحِ عالمنا لا تتكافأ في الواقع ..
أنّ دماءَ البشر لا تتساوى في التطبيق .. أنّ المواثيق والإعلاناتِ
الأممية تتعطلُّ عندَ بعضِ البشر .. أنّ القيمَ والمبادئ تُستدعى
انتقائياً .. بما يوافق اتجاهاتِ المصالحِ وتحيزاتِ السياسة ..
دفعَ شعبُ فلسطين ثمناً باهظاً لهذه العلة الأخلاقية .. تكبّدت



غزّةً أحمالاً هائلةً جراءَ هذا التطفيفِ في السياسةِ والمواقفِ ..
فلا يكون تطفيفُ الكَيْلِ والميزانِ في البيعِ والشراءِ وحسب ..
بل في علاقاتِ الناسِ وسياساتِ الأممِ ومعاييرِ الدولِ أيضاً ..
قال تعالى في سورةِ المطففينِ: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا
اكتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ
يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ
(٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)).

إنّها حربٌ إبادةٍ جماعية .. حربٌ تطهيرٍ عرقي .. حربٌ فظائعَ
رأها العالمُ على مدار الساعة .. حربٌ تواصلت .. وتواصلت
مُساندتهاً بذخيرةِ القتل .. ودعمِ السياسة .. ودعايةِ التضليل
.. كي تستمرَّ الوحشيةُ التي تفتكُ بالبشرِ والحجرِ والشجر ..
جَرَت هذه الحربُ الوحشيةُ حصيلةً مُرعبةً من أخوتنا
وأخواتنا .. أجهزت عليهم بالقتلِ أو الإصابةِ أو الإعاقة ..
لاجئون محشورون في رقعةٍ ضيقةٍ من الأرض .. لا ملاذَ فيها
من حَمَمِ الموتِ والدمارِ التي انهمرت فوق الرؤوس ..
عشرات ألوف الضحايا .. قتلاً وإصابةً وإعاقة .. في قطاعِ غزّة
الذي ضمّ مليونين وثلاثمائة ألفِ إنسانٍ فقط .. ولو قيس



هذا على شعبٍ آخر .. لُعدّ الضحايا بالملايين .. بل بعشرات
الملايين .. في شهرٍ معدودةٍ وحسب!

إنها حقائقٌ مُجرّدة .. تنتفض لها الأبدان .. ويجزَع من هولها
الوجدان .. حقائقٌ حرّكت جماهيرَ العالم منذ أيامها الأولى
.. للمطالبة بوقفِ المذبحةِ الرهيبة .. وكبحِ المقتلةِ المروّعة ..
التي كان بالوسع وقفُها بكلمةٍ واحدةٍ يخرجُ بها صانعوا القرار
الأبرز في عالمنا ..

لكنّ كلّ هذه الأرواحِ البريئةِ التي أزهقت .. لم تستوقفْ مَنْ
تعطلت ضمائرُهم .. وهوت مبادئُهم .. وسقطت شعاراتهم ..
ولو أنّ غزّة كانت من أمةٍ أخرى .. لهبّوا لنجدتها .. لذرفوا
عليها الدمعَ الذي يَضيئون به على أطفالها ونسائها وشيوخها
الذين سُفكت دماؤهم ..

كشفت فظائعُ غزّة .. أنّ دولاً تتباهى بالالتزام بالديمقراطيةِ
والحريةِ وحقوقِ الإنسانِ وكرامةِ البشر .. قد تنجرفُ إلى
مساندةِ مآسٍ مرئيةٍ لا يمكن طمسُها .. وإبادةِ مشهودةٍ لا
يمكن سترُها ..



لم تقرع السياسة الدولية نواقيس الخطر .. عندما خرج قادة الحرب بدعاوى الإبادة والقتل الجماعي على رؤوس الأشهاد .. عندما نادى وزيرهم بقصف غزة بالقنبلة النووية .. وعندما حَضَّ زملاؤه على الإجهاز على المدنيين العزل .. بدعوى أنه ما مدنيّين أبرياء في غزة .. وعندما جاهرَ أركانُ الاحتلال بمرامي التطهير العرقيّ وتهجير هذا الشعبِ قسراً إلى منافي الأرض .. وعقدوا المؤتمرات المشهودة لهذا الغرض .. لم يتوقّف إمداد جيش العدوان والإبادة من يومها بمزيد من آلة القتل والدمار .. التي دمّرت المباني والمنازل في هذا القطاع .. وحوّلتَهُ إلى مشهدٍ تتزاحمُ فيه الأنقاض ..

ولو عدنا إلى الوراثة سنستذكر كيف عاش عالمنا زلازل كبرى .. أودى بحياة عشرات الألوف من الناس وحطمت مدناً وبلدات .. وقد أشغلتنا هذه المآسي في حينها .. وحركت الدول لإرسال فرق الإنقاذ وتقديم المساعدات .. ثم وجدنا أنّ سياسة عالمنا تورّطت في إيقاع زلزال رهيب مبرمج .. افتعلته بأطمان الدمار الشامل الذي تساقط فوق قطاع غزة .. ليلاً ونهاراً .. دون أن يُقال: كفى! .. دون أن يُقال: أوقفوا



هذا! .. دون أن تتوقف مساندة المحتل المعتدي ابتداءً على هذا الشعب .. دون الكف عن دعمه وتشجيعه وتبرير فظائعه .. والنتيجة أن وجدنا هذه الحصيلة المرعبة .. التي قفزت إلى معدلات هائلة من القتل والإصابة والإعاقة ..

والنتيجة أن دُمّرت المستشفيات والعيادات والمرافق الصحية .. وأن قُتل الناس فيها .. وأن قُطعت عنها إمدادات الدواء ولوازم العلاج .. فجعلت غزوة مسلخاً كبيراً لتقطيع البشر أشلاءً ممزقة .. وإسقاط الإنقاض فوق رؤوسهم .. وإحراقهم بحمم اللهب المتفجر ..

سقط عالمنا في امتحان غزوة .. سقط في هذا الامتحان الأخلاقيّ الجسيم .. سقط في هذا الاختبار المبدئيّ المشهود .. سقط ساسة أمم كبرى .. وسقطت منابر إعلام .. وسقط رموز ثقافة ورؤاد فلسفة .. عندما تواطؤوا مع الإبادة الوحشية بدعم مقدماتها وتبرير فظائعها .. أو عندما تواطؤوا معها بصرف النظر عنها والسكوت الشائن عن ما يجري ..

وقد أدرك حاملو القلوب والعقول .. وقد أدرك أصحاب



الضمانِ اليَقِظَةَ .. مِنْ حَوْلِنَا وَفِي كُلِّ أَرْجَاءِ الْعَالَمِ .. أَنْ مَا
جَرَى فِي غَزَّةَ يَعْنِينَا جَمِيعاً .. وَأَنْ فِلَسْطِينَ هِيَ قَضِيَّتُنَا جَمِيعاً
.. وَأَنْ هَذِهِ الْفِطَائِعَ تَتَحَدَّنَا جَمِيعاً .. تَتَحَدَّنَا فِي إِنْسَانِيَّتِنَا ..
تَتَحَدَّنَا فِي مَبَادِينِنَا وَقِيمِنَا .. تَتَحَدَّنَا فِي مَوَاقِفِنَا وَالتَّزَامَاتِنَا ..
وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عَالَمٍ يَرْضَى بِاسْتِبَاحَةِ الْأَرْوَاحِ عَلَى هَذَا النِّحْوِ
الْفِطِيعِ .. وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي مَنْ ارْتَضَى غَضَّ الطَّرْفِ عَنِ الْمَأْسَاةِ
الْمُفْتَعَلَةِ عَلَى مَرَأَى مَنَا جَمِيعاً ..

وَمِنْ نَبِيلِ الْمَوَاقِفِ .. أَنْ خَرَجَ النَّاسُ فِي كُلِّ مَكَانٍ .. كَيْ يَجْعَلُوا
وَقْفَ الْإِبَادَةِ أَوْلَوِيَّتَهُمْ .. وَمَسَانِدَةَ الشَّعْبِ الْمَكْلُومِ غَايَتَهُمْ ..
كَيْ يَرْفَعُوا رَايَةَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ .. كَيْ يَرْفَعُوا صَوْتَهُمْ لِأَجْلِ
كِرَامَةِ الْإِنْسَانِ الَّتِي تُسْحَقُ .. وَقَدْ شَاهَدْنَا نَهَاجَ وَفِيرَةً فِي هَذَا
.. مِنْهَا شَبَابٌ فِي سَنِّ الْمَدْرَسَةِ وَالْجَامِعَةِ .. اعْتَادُوا الْخُرُوجَ إِلَى
الْمِيَادِينِ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ مَخَاطِرِ التَّغْيِيرِ الْمُنَاحِيِّ .. وَإِذْ بَهُمْ يُخْرَجُونَ
ضَدَّ الْإِبَادَةِ الْجَمَاعِيَّةِ .. وَيَتَرَفَعُونَ لِأَجْلِ حَقِّ شَعْبِ فِلَسْطِينَ
فِي الْحُرِيَّةِ كَغَيْرِهِ مِنَ الشُّعُوبِ .. وَقَدْ بَيَّنَّوْا أَنَّ سَعِيَّهُمْ لِأَجْلِ
الْمُنَاحِ لَنْ يَسْتَقِيمَ إِنْ صَرَفُوا أَنْظَارَهُمْ عَنِ إِبَادَةِ الْبَشَرِ الَّتِي
تَجْرِي عَلَى مَرَأَى مِنَ الْعَالَمِ وَمَسْمُوعٍ ..



وقد شاهدنا أطباءً وطبيبات .. ومسعفين وممرضات ..
وصحفيين وعاملي خدماتٍ مدنية .. وغيرهم من الأوساطِ
المهنية المتعدّدة .. يخرجون تبعاً من أممٍ شتى .. ليُطلقوا
صيحةَ الإنسانيةِ في وجه السياساتِ المتوحّشة .. التي لا تُعرفُ
رأفةً ولا رحمة ..

لا غنى لعالمنا عن إعلاءِ صوتِ العدالة .. وتكأُفِ الضمائرِ
الحرّة .. فهذه المواقف هي بقيةُ الخيرِ في إنسانيتنا .. علاوةً على
أنّ هذا التزامٌ مبدئيٌّ وواجبٌ أخلاقيٌّ ومسؤوليةٌ شرعيةٌ علينا
جميعاً ..



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
«عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ،
فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ؛ لِأَنَّهَا لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا
سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ
خَشَاشِ الْأَرْضِ»

متفق عليه.



الموضوع الثامن عشر

الإبادة الوحشية تطارد الكائنات جميعاً

عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «عُدَّتْ امرأةٌ في هِرَّةٍ، سَجَّتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا سَقَّتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ» - متفق عليه.

نعم .. بسبب قِطَّةٍ .. أُدْخِلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ .. ذَلِكَ مِنْ أُمَّهَا حَبَسَتْ هَذِهِ الْقِطَّةَ .. أَوْ الْهِرَّةَ .. وَمَنَعَتْ عَنْهَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ .. تَرَكَتْهَا تَتَضَوَّرُ جَوْعاً وَيَشْتَدُّ بِهَا الْعَطَشُ .. مَنَعَتْ عَنْهَا رَمَقَ الْحَيَاةِ .. حَبَسَتْهَا وَلَمْ تَكْتَرِثْ بِأَيْنِهَا .. وَلَمْ تُطَلِّقْ سَرَاحَهَا لِتَجِدَ شَيْئاً تَأْكُلُهُ مِنَ الْأَرْضِ .. تُرِكَتِ الْقِطَّةُ الْمَسْكِينَةُ كَيْ تَمُوتَ



بُطء .. كي تموت جوعاً وعطشاً .. وهو صنيعٌ لا يصدرُ
عن قلبٍ يعرف الرحمة .. لا يصدرُ عن إنسانٍ يعرفُ الرأفةَ
.. صنيعٌ يتلذذُ صاحبُه بالحقِ الأذى والهلاكِ على هذا النحوِ
البشع .. بحقِّ كائناتٍ ضعيفةٍ بريئة .. تستحقُّ العنايةَ والرعايةَ
.. والإطعامَ والسّقايةَ ..

نستذكرُ هذا الحديثَ النبويَّ الشريفَ .. الذي ينبغي أن يقرعَ
أسماعَ كلِّ إنسانٍ .. نستذكرُه ونحن نسمعُ ونشاهد .. نرى
ونواكب .. مشاهدَ تأتينا .. فيها ققطٌ ضامرة .. وكلابٌ جائعة
.. ودوابٌ نافقة .. نراها على هذا الحالِ البائس .. تهيمُ على
وجوهها من الجوعِ الشديد .. لا تجدُ ما تأكلُه .. حتى من
خشاشِ الأرض .. فهي حبيسةٌ سجنٍ كبير .. يُسمّى قطاعَ غزّة
.. تتقاسم مع أكثر من مليوني إنسانٍ فيه .. العطشُ والجوعُ
والمرض .. بسببِ الحصارِ الخانقِ والعدوانِ المارقِ والتجويعِ
الفائق ..

إنّ المشاهدَ التي تأتينا من أحوالِ هذه الكائناتِ التي تتصوّرُ
جوعاً .. هي بالأحرى مثالٌ كاشفٌ لتجويعِ البشرِ من حولها



.. الذي صار نهجاً مُتّبِعاً وسياسةً معتمدةً .. تجويع الأطفال
والرُّضْع .. تجويع الأمّهات والشيوخ .. تجويع الضعفاء
والمرضى .. تجويع الكبار والصغار .. وتجويع الكائنات من
حولهم .. أو ما تبقى من هذه الكائنات بعد أن فتك جيشُ
العدوان والإبادة بكثير منها .. بقذائفه ورصاصه ونيرانه ..
وإن «عذبت امرأة في هرة، سجنها حتى ماتت، فدخلت فيها
النار» .. فما يكون الحال مع مَنْ يقتربون هذه الفظائع مع
حشودٍ من البشر والكائنات .. لا هم أطعموهم ولا سقوهم
إذ حبسوهم .. ولا هم تركوهم يَحْضِلُون على إمدادات الإغاثة
التي تتوجّه نحوهم من أنحاء الأرض ثمّ يُمنعُ عبورها إليهم .
يا لها من سياسةٍ جائرة .. نُزَعَت منها الرحمة .. ولا تعرفُ
الرفّة إليها سبيلاً .. سياسةٌ تتصلُّ من الإنسانية وتُسقط
المواثيق وتنتهك الشرائع .. حتى ما يتصل منها بحقوق
الحيوان في مقومات بقائه ..

وإن كان هذا هو صنيعهم الآثم مع الدواب .. فما يكون
صنيعهم مع البشر من هذا الشعب المُصابر .. الذين فرّوا



من القصفِ إلى القصفِ .. من النارِ إلى النارِ .. في حربِ إبادةٍ
مديدةٍ لم ترَحَمْ صغيراً ولم ترَأْفَ بضعيفٍ .. حربٍ دمّرت
المستشفياتِ عن آخرها .. حتى أنّ الأطفالَ حديثي الولادة لا
يجدون فيها حاضنةً تُؤويهم .. فيموت هؤلاء الصغارِ واحداً
تلو الآخر .. دون أن يُستمَعَ لأنيهم .. أو يُنصتَ لضرباتِ
قلوبهم الصغيرة .. التي تؤذُنُ بهلاكهم ..

صيحاتُ الاستغاثةِ توالّت .. النداءاتُ العاجلةُ تعاقبت .. يوماً
بعد يومٍ .. أسبوعاً بعد أسبوعٍ .. شهراً بعد شهرٍ .. ولكن لا حياة
لمن تُنادي .. وكأنّ عالمنا اليوم .. الذي يتهاونُ مع كلّ هذا الذي
يجري .. ويتواطأ معه بالتراخي والتقاعدس أو بالشراكة والتبرير
.. كأنّ عالمنا هو في موضع تلُكم المرأة التي حذّر رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم من فعلتها الشنعاء .. وبين مصيرها المستحقّ في
الآخرة .. جزاءً وفاقاً ..

إنّ لهذه الهرة .. أو القطّة .. أمثال من الكائناتِ في قطاع غزة
.. حُبست ومُنِعَ عنها الطعامُ والشرابُ والرعاية .. وفوق هذا
يُجسُّ شعبٌ بحiale .. ولا يُكترثُ بالاستغاثاتِ المتعاطمةِ عن
اشتدادِ التجويعِ الذي ينهشُ الأبدانَ ويفتِكُ بالبشر والكائناتِ .



وقد بين رسولنا صلى الله عليه وسلم .. صورةً مُقابلةً .. صورةً
نبيلةً .. هي مثالٌ للسلوكِ الإنسانيِّ الحميد .. الذي ينبغي أن
يقتفى أثره ويُتأسى به في مثل هذه الأحوال ..

فقد جاء في الصحيحين وغيرهما من رواية أبي هريرة رضي الله
عنه مرفوعاً: بينما رجلٌ يمشي فاشتدَّ عليه العطشُ فنزلَ بئراً
فشربَ منها ثم خرجَ، فإذا هو بكلبٍ يلهثُ يأكلُ الثرى من
العطشِ، فقال: لقد بلغَ هذا مثلُ الذي بلغَ بي، فملاً خُفَّهُ ثم
أمسكَه بفيه ثم رقى فسقى الكلبَ، فشكرَ اللهَ له فغفرَ له.
قالوا يا رسولَ الله: وإنَّ لنا في البهائمِ أجراً؟ قال: في كلِّ كبدٍ
رطبةٌ أجر.

وفي حديثٍ آخر في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً:
«بينما كلبٌ يطيفُ بركيةٍ كادَ يقتله العطشُ إذ رأته بغيٌّ من
بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به».

هذان مثالان على المواقف النبيلة .. مواقف الرحمة والشفقة
والإحسان .. فقد اجتهد الرجلُ واجتهدت المرأة .. في سقاية
الكلبِ الذي اشتدَّ به العطش .. اجتهد كلٌّ منهما في تمكين



هذا الكائن من تجاوزِ الخطرِ وإنقاذِ حياته .. وهذه الرحمةُ
كانت سبباً في أن يغفرَ اللهُ تعالى له ولها.
وفي ما رواه الترمذي وصححه .. أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم
من في السماء».

وإن المرءَ اليومَ ليعجب .. كيف يعجزُ أهلُ الأرضِ أجمعين ..
عن تمكين البشرِ والكائناتِ في غزة .. من رشفةِ ماءٍ ولُقمةِ
غذاءٍ وجُرعةِ دواء .. وتمكين الكائناتِ من حولهم أيضاً من
فُرصِ البقاء .. وكيف لا يتصرّفُ العالمُ رغمَ فظاعةِ حربِ
التجويعِ المشهودةِ في المشارقِ والمغرب .. الحربِ التي انتهكت
إنسانيتنا وامتنت كرامتنا وأسقطت موثيقنا وهوت بشرائنا ..

إنها المجاعةُ المبرجةُ .. المقتلةُ الوحشيةُ المُصطنعة .. التي تمسُّ
الناسَ جميعاً في قطاعِ غزة .. تمسُّ أخواتنا وإخوتنا .. تمسُّ
أمهاتنا وجداتنا وشيوخنا .. كما تمسُّ أطفالنا من كلِّ الأعمار
.. حتى الرضع منهم .. الذين لا يجدونِ ضرعاً يُشبعُهُم ولا
لبناً يُغذيهم ولا ماءً نقيّاً يروي ظمأهم ..



أَيُّ بَشَاعَةٍ هَذِهِ الَّتِي تُقْتَرَفُ تَحْتَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ .. حَتَّى
انْتَهَى الْمَشْهُدُ إِلَى مَجَاعَةٍ ضَارِيَةٍ افْتَعَلَوْهَا .. وَمَوْتٍ بَطِيءٍ
اصْطَنَعُوهُ كَيْ يَفْتَرَسَ النَّاسَ .. يَنْهَشُهُمْ نَهْشًا .. دُونَ أَنْ تُوقَفَ
الْجَرِيمَةُ الْوَحْشِيَّةُ .. أَوْ يُرَدَّعَ مَقْتَرَفُوهَا .. أَوْ يُجَاسَبَ دَاعِمُوهَا
.. أَوْ يُسَاءَلَ مَنْ يَنْهَمُكَونَ فِي تَبْرِيرِهَا وَالتَّمَاسِ الْأَعْدَارِ لَهَا فِي
مَنْصَبَاتِ السِّيَاسَةِ وَالْإِعْلَامِ عِبْرَ الْعَالَمِ ..

إِنَّ مِنْ حَقِّ أَهْلِ غَزَّةٍ عَلَيْنَا .. أَنْ نَهْتَمَّ بِأَمْرِهِمْ .. وَنَشْغَلَ
بِهَمِّهِمْ .. أَنْ نَقِفَ مَعَهُمْ فِي هَذَا الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ .. فِي هَذِهِ الْمَأْسَاةِ
الرَّهِيْبَةِ .. فِي هَذِهِ الْإِبَادَةِ الْوَحْشِيَّةِ .. وَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَهْنَأَ بِطَعَامِ
أَوْ شَرَابٍ أَوْ رُقَادٍ أَوْ شَيْءٍ مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا .. وَنَحْنُ نَعِيشُ
مُحْتَنِهِمْ وَمَأْسَاتِهِمْ وَمُظْلَمَتِهِمْ .. نَعِيشُ مَا يُصَبُّ عَلَى الْأَطْفَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالشُّيُوخِ وَالْمَرْضَى وَعَمُومِ النَّاسِ فِي غَزَّةٍ مِنْ أَلْوَانِ
الْأَذَى وَالْفَتْكِ وَالْبَطْشِ الَّتِي تَنْفُضُ لَهَا الْأَبْدَانَ .. مِنْ الْقَتْلِ
الْجَمَاعِيِّ الَّذِي يَتَوَاصَلُ بِهَا هَوَادَةٌ .. وَالتَّجْوِيعِ الَّذِي يَتَعَاطَمُ
بِهَا رَادِعٌ ..

إِنَّ مِنْ وَاجِبِنَا وَوَأَجِبِ كُلِّ صَاحِبِ ضَمِيرٍ .. أَنْ نُسَانِدَ أَهْلَ



غزة في هذه المظلمة .. وأن نسعى في التخفيف عنهم بكل ما
يمكن تقديمه لهم .. وأن نرفع أصواتنا لدعم الحق والعدل
وفي مواجهة الظلم والعدوان والتجويع .. وأن يدركوا أنهم
ليسوا وحدهم .. وأن لهم أمة تقف إلى جانبهم .. وضمان حرية
تلتف حول قضيتهم .. كي لا ينالهم شعور الخذلان المرير ..
فالوقوف إلى جانب فلسطين وشعبها .. ومساندة غزة الجريحة
وأهلها .. هو من أعظم الواجبات في هذه الأيام ..
يا أهل غزة .. نسأل الله تعالى أن يتقبل تضحياتكم العزيرة
.. وأن يربط على قلوبكم .. وأن يؤتيكم ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة ..



قال تعالى ..

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ
الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ
عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا
نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ
(٨)﴾

سورة البروج



الموضوع التاسع عشر

امتحان للضباط وتمحيص للمواقف

فصولٌ مديدةٌ من حرب الإبادة والتجويع .. دَهَمَتْنَا خِلالَهَا
أَنْبَاءُ الْفِظَائِعِ الْمُتَلَحِّقَةِ وَالْمَآسِيِ الْمُتَجَدِّدَةِ، الَّتِي يِقَاسِيهَا أُخُوَّةُ
لَنَا وَأُخُوَاتٍ فِي قِطَاعِ غَزَّةَ. شَهِدْنَا جَمِيعاً فِصُولَ الْعِدْوَانِ
السَّافِرِ، وَالْجِرَائِمِ الْوَحْشِيَّةِ، وَالْفِظَائِعِ الْمُرْعِبَةِ، الَّتِي تَنْفَطِرُ لَهَا
الْقُلُوبُ وَيَنْدِي لَهَا جَبِينُ الْإِنْسَانِيَّةِ.

شَعْبٌ قَاسَى الْإِبَادَةَ وَالتَّهْجِيرَ وَالتَّجْوِيعَ فِي ظُرُوفٍ مَأْسَاوِيَّةِ
مُرْعِبَةٍ. شَعْبٌ فُرِضَ عَلَيْهِ الْجُوعُ وَالْمَرَضُ تَحْتَ أَهْوَالِ الْقَصْفِ
وَبَيْنَ جِبَالِ الْأَنْقَاضِ، شَعْبٌ طَارَدَهُ الْأَذَى فِي كُلِّ لِحْظَةٍ، لِأَحَقِّهِ
الْقَتْلُ الْجَمَاعِيَّ الْمَشْفُوعُ بِالْبُؤْسِ وَالْفَاقَةِ وَالْحَرْمَانِ.



فصولٌ مديدة .. لم تنقطع خلالها الصورُ المرعبةُ والمقاطعُ
المأساوية، وقد ملأت التقاريرُ الموثقة عن الفظائع الدُّنيا
وقرعت الضميرَ الإنساني، وفيها تفاصيلٌ مذهلةٌ عن أطفالٍ
عاشوا الفظائع .. وأمّهاتٍ ذُقْنَ العذاب .. ومُسِنَّون طاردَهُم
الترويع .. ومرضى حُرِموا العلاجَ والدواء. نساءٌ وشيوخٌ
ومرضى ومصابون تُرِكوا وحدهم في موتٍ بطيء؛ بعد أن أتى
القتلُ الوحشيُّ على ذويهم، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله العليِّ
العظيم.

اللهم إليك نلجأ وبرحمتك نستغيث؛ إنَّ أشقانا في فلسطينَ
مُسْتَضْعَفُونَ في الأرض، يُسامون سوءَ العذاب، قتلاً وتعذيباً
وتنكيلاً واضطهاداً وتشريداً، أحاط بهم طغيانُ المحتلِّين الذين
عَلَوْا واستكبروا، وحقَّ بهم طغيانُ الإبادة التي يتألَّه أربابها
في الأرض ويُطلقون أنيابَ جيشهم الجائر لينهشَ الأبرياء ..
اللهم إنَّ البغيَ قد استفردَ بأشقائنا، والعدوانَ قد استبدَّ بهم،
في غفلةٍ من أمة الإسلام؛ ولم يجدوا من العالمِ نُصرةً ولا عوناً.
تَرَكَ العالمُ شعبَ فلسطينَ وحده .. لينهشه احتلالٌ عسكريٌّ،
وتطرَّفَ فاشيٌّ، وجيشٌ عدوانيٌّ، ونزعاتٌ عنصرية، وترويعٌ



مُنظَّم.

ولا ريبَ أنَّ ما جرى في قطاع غزة من ترويع متواصل؛ هو اختبارٌ للعالم، وامتحانٌ للضمائر، وتمحيصٌ للمواقف.. فالحقوقُ لا تتجزأ حسب هويَّة الضحايا.. والمبادئُ لا تنفصمُ عُراها طبقاً لألوان المعتدين.. ولا يُعقل أن يكون في عالمنا دمٌ أرخصٌ من دم، وأرواحٌ أزهدٌ من أرواح، وحقوقٌ تُداس وأخرى تُحفظ، وكرامةٌ تُثور لها الحميَّةُ وغيرها تُهدرُ وتُستباح. لقد غَضَّ العالمُ النظرَ طويلاً عن قضية فلسطين؛ التي بلغت اليومَ مَبْلَغَهَا من الظُّلمِ وأوجَّها من التعسُّفِ وذروتها من الفتك. عانى شعبُ فلسطين النكبةَ والتشريدَ والاضطهاد.. شعبٌ لم يُعترفْ به في بلاده.. أنكرَ الطغيانُ وجوده.. حرَّمه الاضطهادُ فرَصَ العيشَ وطاردَه في موارد رزقه ولقمة عيشه.. داسَ حقوقَه وكرامته جيلاً بعد جيل.. عمَدَ إلى استئصاله والفتكِ به.. باشرَ اجتثاثه من فوقِ الأرض.. ولم يتورَّع في مسعاهُ هذا عن سَحْقِ القِيمِ ودَوَسِ الإنسانية وانتهاكِ الحُرُماتِ والإسرافِ في الفضائع.

لا ينبغي لأَيِّ ضميرٍ حُرٍّ أن يهدأ ونحن نرى جميعاً كلَّ هذا المروق من الإنسانية والأخلاقِ والمبادئِ والشرائعِ.. وما كان



لهذه الفظائع التي نشهدها اليوم أن تستمر عقوداً متواصلة ..
وأن تتلاحق عهوداً مديدة؛ .. لولا السكوت الشائن عنها في
عالم لم يشأ أن يُبصرها، أو لعلّه تواطأ معها بالدعم والمساندة ..
أو التجاهل والتقايس .. فاجترأ البُغاة على التهادي .. هائنين
بحصانتهم من المساءلة وأمانهم من العقاب .. فأسرفوا في القتلِ
والترويعِ والمطاردة .. وتوسّعوا في قصفِ البيوتِ والمساجدِ
والكنائسِ والمستشفياتِ ودورِ الرّعاية .. وتشريدِ هذا الشعبِ
من أحيائه السكنية ومخيماته التي لجأ إليها يوم أن حلت النكبة
الرهيبّة سنة ثمانية وأربعين (١٩٤٨).

لقد توعدّ الله تعالى أربابَ الظلمِ والبغيِ بعذابٍ أليم .. وقد
جاءت قصصُ السابقين حافلةً بالدروسِ والعبرِ عن سوءِ
العاقبة .. ونجدُ في قصّة أصحابِ الأخدودِ مشاهدَ الفتكِ
الوحشيِّ .. التي كان لها أن تنتصبَ للبشرية جميعاً درساً تحذره
وعظةً تُدرِكُها، بأنّ الطُّغيانَ وخيمَ العاقبة، وقد جاء في شأنهم
قرآنٌ يُتلى إلى يومِ الدين، قال تعالى: (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ
(١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قَتَلَ أَصْحَابُ
الْأَخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦)



وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا
أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ
(١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ
(١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤)
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ
الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ
(١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي
لُوحٍ مَحْفُوظٍ (٢٢)). سورة البروج.

وإن فرح الطغاة والمعتدون والظالمون بانطلاق أيديهم في سفك
الدماء وإهلاك الحرث والنسل.. وحسبوا أنهم قد أفلتوا من
محاكم الدنيا وعدالة الأرض؛ فما يصنعون مع عدالة الآخرة..
وأيّن مفرّهم من الواحد القهار، والله شديد العقاب؟!
وفي ما رواه البخاري ومسلم أن أبا موسى الأشعري قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله ليُملي للظالم، حتى



إذا أخذه لم يفله»، ثم قرأ عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) وفي الحديث: «اتقوا الظلم؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» (رواه مسلم). وقد قال عز وجل: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ). الشورى - ٤٢.

وإننا لنعجبُ أشدَّ العجبِ من اختلالِ المعاييرِ واضطرابِ القيمِ، فبعضُهم تقومُ قائمتهُ وتثورُ ثائرتُهُ لظلمِ دونِ ظلمِ، وجورِ دونِ آخرِ، فيحدِّدُ موقفَهُ حسبَ تصنيفِ الجاني والضحية، ويجعلُ ألوانَ الأبراجِ وإضاءاتِ المباني مُكرَّسةً للتضامنِ مع ضحايا دون ضحايا .. وكأنَّ البشرَ طبقاتٌ ودرجاتٌ وليسوا أخوةً وأخوات، كُلُّهم لآدمَ وادمُ من تُرابِ.

نجدُ بعضَ قادةِ العالمِ يُصرُّونَ أيما إصرارٍ على تجاهلِ دماءِ غزاةِ المسفوكة .. وتسويغِ الجرائمِ البشعةِ التي تُرتكبُ تحتِ ناظرِهِم .. ولم يُنكروا شيئاً من ذلك .. بل واصلوا انخراطَهُم في دعمِ حربِ الإبادةِ وحربِ التجويعِ وحربِ القهرِ ..

نقف مع أهلِ غزّة وشعبِ فلسطين بمُنطلقِ
إنساني، ودافع أخلاقي، وامتثالٍ إسلاميٍّ،
والتزام أخويٍّ. هذه قضيتنا، وقضية كلِّ
إنسانٍ، وشاغلُ كلِّ حرٍّ، ومسؤولية كلِّ
صاحبِ نبضٍ حيٍّ وضميرٍ يقظ.



الموضوع العشرون

الحثُّ على التآخي والتضامن

نقفُ مجدِّداً مع شعبِ فلسطين .. مع أهلِ غزّة .. في المحنة القاسية التي أنزلت بهم .. نقف معهم بمُنطلقِ إنساني، ودافع أخلاقي، وامتثالٍ إسلاميٍّ، والتزامٍ أخويٍّ .. ونؤكِّد في هذا المقام، أنها ليست قضيتنا وحدنا؛ بل هي قضية كلِّ إنسان .. وشاغلُ كلِّ حرٍّ .. ومسؤوليةُ كلِّ صاحبِ نبضٍ حيٍّ وضميرٍ يقظ.

إنَّ مسؤوليتنا جميعاً في المجتمعات الأوروبية والإنسانية عموماً .. مسلمينَ وغير مسلمين .. أن نرفع صَوْتنا عالياً ضدَّ هذه الإبادة .. بكلِّ السُّبُلِ المدنيَّةِ المتاحة .. وأن نحشد الجهودَ لمناهضة العُدوان السافر على شعب فلسطين.



ولا شكّ أنّ ما جرى في غزّة لم يكن ليَجري؛ لو قام العالمُ
بالوفاءِ بالتزاماته .. والتقيّدِ بمواثيقه .. والامثالِ لشعاراته ..
أو لو أنّ عالمنا نهَضَ بواجبه الأخلاقيّ في التحذيرِ من الإبادةِ
الوحشيةِ واتَّخذ الإجراءاتِ الرّادعةَ لوقفها.

إنّ ديننا الحنيف يُحُنُّنا على التّآخي والتضامن .. ويحُضُّنا
على النهوضِ بمسؤوليّاتنا نحو أخوتنا وأخواتنا في غزّة ..
بمضاعفةِ الجُهدِ لصالحِ قضيتهم العادلة .. ورفعِ الصّوتِ
ضدّ الإبادةِ والتجويع .. وتقديمِ الغوثِ العاجلِ والمساعدةِ
الملحّة لشعبِ حُوربَ في أمعائه ورمقِ عيشه .. لشعبٍ قُطعت
عنه شرايينُ الحياةِ وتقطّعت به السُّبُلُ وسُدَّتْ أبوابُ الغذاءِ
والدواءِ في وجهه .. ثمّ قُتِلَ جماعياً على مرأى من العالمِ
ومسمَعٍ وهو يسعى في الحصولِ على طحينٍ شحيحٍ لإطعامِ
أطفاله وضعفائه.

ونودّ التّنبية .. إلى ضرورةِ التّحقُّقِ من منشأِ الطعامِ الذي
نتزوّد به .. في بيوتنا ومراكزنا ومساجدنا وجمعياتنا ومطاعمنا
ومتاجرنا .. وعلى موائدِ الطعامِ والإفطار .. في شهرِ رمضانَ



المبارك .. وفي عموم المواسم والأوقات .. فلا يَصِحُّ بأيِّ مَنَّا
أن يتهاوَنَ مع شراءِ تُمُورٍ يُطَمَّسُ منشؤها .. لأنَّها من مزارعِ
محتلَّةٍ في فلسطين .. لا يَصِحُّ أن تجعلَ إفطارَكَ أخي المسلم ..
أو إفطارَكَ أختي المسلمة .. على تمراتٍ تصيرُ أثمانها رصاصاً
يزهقُ أرواحَ الأبرياءِ في فلسطين .. وليتَقَّ اللهُ تعالى كُلَّ تاجرٍ
يتهاوَنُ مع هذا .. وهذا من الجشعِ الذميمة .. والخذلانِ المقيتِ
.. فلا تجعلوا تمورَ الاحتلالِ من أراضي فلسطين المسروقة إلى
موائدِ الإفطارِ سبيلاً .. واسألوا الباعةَ عن منشئها بإصرار ..
لا تكلُّوا ولا تملُّوا .. اسألوهم وسائلوهم .. ولا تتهاونوا في
هذا .. ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد.

إنَّ من حَقِّ أهلِ غزَّةِ علينا في شهرِ رمضانِ المبارك وفي عموم
المواسم .. أن نهتمَّ بأمرهم .. ونشغلَ بهمَّهم .. أن نَقِفَ معهم
في هذا البلاءِ العظيم .. في هذه المأساةِ الرهيبة .. في هذه الإبادةِ
الوحشية ..

إنَّ من واجِبنا وواجبِ كُلِّ صاحبِ ضمير .. أن نُساندَ أهلَ
غزَّةِ في هذه المظلمة .. وأن نسعى في التخفيفِ عنهم بكلِّ ما



يمكن تقديمه لهم .. وأن نرفع أصواتنا لدعم الحق والعدل
وفي مواجهة الظلم والعدوان والتجويع .. وأن يدركوا أنهم
ليسوا وحدهم .. وأن لهم أمة تقف إلى جانبهم .. وضائر حرّة
تلتف حول قضيتهم .. كي لا يناهم شعور الخذلان المرير ..
يا أهل غزّة الصابرين .. بشراكم اليوم من الله تعالى .. ألم
يقل عز وجل في كتابه الكريم: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ
وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ)؟ سورة البقرة ١٥٥

يا أهل غزّة .. إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله
.. وتلك الأيام نداؤها بين الناس .. وليعلم الله الذين آمنوا
ويتخذ منكم شهداء ..

يا أهل غزّة .. نسأل الله تعالى أن يتقبل تضحياتكم العزيرة
.. وأن يربط على قلوبكم .. وأن يؤتيكم ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة ..



عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا
أَمَّنَ بِي مَن بَاتَ شَبَعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى
جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ».

رواه الطبراني



الموضوع الحادي والعشرون

حرب التجويع وفضائعها

إنَّ ما صُبَّ على شعبِ فلسطين في قطاع غزة .. لم تكن حربَ
إبادةٍ وتطهير عرقي وحسب .. بل هي حربٌ تجويع مُبرمجة
أيضاً .. استهدفت شعباً بحِباله .. استهدفتُهُ في قوتِ يومه ..
استهدفتُهُ في رَمَقِ عَيْشه .. استهدفتُهُ في لحمه ودمه .. استهدفتُ
فرصته للبقاء على قيد الحياة ..

فهل شهد عالمنا حربَ تجويع كهذه التي مارست وحشيتها في
قطاع غزة؟!!

هل شهدَ مثلَ هذا التواطؤِ على تجويع الصغار والكبار؟! ..
على حرمانهم كسرة الخبزِ اليابسة .. ولقمةِ الغذاءِ البائسة ..
ورشفةِ الماءِ النقيّة .. وقارورةِ الدواءِ المُلحّة؟!!



هل شهدَ عالمنا إرغامَ شعبٍ على أن يقتاتَ من علفِ الحيوانات
.. ثم لا يجدها؟! ..

أيُّ وحشيةٍ هذه؟ .. وحشيةٍ سُمِحَ لها بأن تُمارَسَ طريقةً في
الحربِ تحتَ الأسماعِ والأبصارِ .. سُمِحَ لها بأن تتواصلَ أسلوباً
في الفتكِ شهراً بعد شهرٍ من التجويعِ الرهيبِ .. الذي حاربَ
الأهالي في ما يأكلون ويشربون .. حاربهم في أمعائهم الخاوية
.. حاربَ الصَّغارَ والرُّضَعَ والأمهاتِ والعجائزَ والمرضى ..
حرمهم من أبسطِ ما تقومُ به حياةُ الإنسانِ في يومه وليلته ..

جرى هذا في قلبِ العالمِ .. مورسَ في مركزِ الأرضِ .. وليس في
صحراءٍ معزولة .. أو بلادٍ قاصية .. أو أطرافٍ نائية ..

لم تحدثْ هذه المأساةُ الإنسانيةُ بفعلِ نكبةٍ طبيعيةٍ .. أو بتأثيرِ
جائحةٍ داهمةٍ .. بل هي كارثةٌ مُبرمجةٌ .. فاجعةٌ مُحبوكةٌ .. سياسةٌ
مقصودةٌ .. كي يجوعَ الناسُ جميعاً ويموتون جوعاً وعطشاً
ومرَضاً ووباءً .. كي يُقهرَ هذا الشعبُ في بدنِهِ وصحَّتِهِ ويُكسَرَ
في عزمتهِ وإرادتهِ .. وكي يُساوَمَ على حقوقِهِ ومطالبهِ ..

باتَ مئاتُ الألوفِ في غزّةِ العِزّةِ جِيعاً .. وهم مُحاطون بجيرانِ
لهم من أمّتهم .. وواقعون في عالمٍ فسيحٍ يرى ويسمع .. في عالمٍ



يَعْلَمُ بِهَذِهِ الْحَرْبِ الْوَحْشِيَّةِ الَّتِي تَسْتَهْدِفُهُمْ ..

وَمِنْ صَحِيحِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ رَسُولَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
.. قَالَ .. فِي مَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ - .. «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبَعَانَ وَجَارَهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ
وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ».

وَفِي رِوَايَةِ الْحَاكِمِ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارَهُ
جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ».

وَالْمَعْنَى هُنَا أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْكَامِلَ لَا يَفْعَلُ هَذَا التَّجَاهُلَ .. فَهَذَا
السَّلُوكُ يَنْفِي الْإِيمَانَ الْكَامِلَ .. لِأَنَّهُ يُنْبِئُ عَنِ قَسْوَةِ الْقَلْبِ
وِغْيَابِ الْمَرْوَةِ .. فَكَيْفَ إِنْ اجْتَمَعَ الْقِصْفُ مَعَ التَّجْوِيعِ ..
وَالْقَتْلُ مَعَ التَّعْطِيشِ .. وَالتَّدْمِيرُ مَعَ الْإِفْقَارِ؟

وَمَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ .. ضَرُورَةٌ أَنْ يَتَفَقَّدَ النَّاسُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا
.. وَأَنْ يَهْتَمُّوا بِأَمْرِ مَنْ حَوْلَهُمْ .. وَأَنْ يَنْشَغَلُوا بِأَحْوَالِ مَنْ يَلُونَهُمْ
.. وَقَدْ صِرْنَا الْيَوْمَ فِي عَالَمِنَا مُتَجَاوِرِينَ نَسْمَعُ مَا يَجْرِي فِي غَزَّةَ
وَنَرَاهُ .. نُعَاشِيهِ لِحِظَةً بِلِحِظَةٍ .. فَالْمَأْسَاءُ الَّتِي تُوقَعُ عَلَيْهِمْ ظَلَّتْ



مرئيةً في كُلِّ بيت .. وصورها حاضرةً في كُلِّ جيب .. ومشاهدُ
الإبادةِ والتجويعِ تُقْضُ مضاجِعَ أهلِ الإيمانِ والمروعةِ والضميرِ

..

لنا أن نتخيّلَ أمّا ثكلى .. لا تجد ما تُطعمُ به صغارها وقد
شحبت وجوههم وضمّرت أبدانهم .. فيبيتون بين أيديها تحت
القصفِ كُلِّ ليلةٍ وبطونهم خاوية ..

لنا أن نتصوّرَ أباً مكلوماً .. يهيمُ على وجهه في كُلِّ نهارٍ حائراً ..
دون أن يجد ما يعودُ به لأطفاله الذين صارت أبدانهم الهزيلةُ
هياكلَ عظمية ..

وكيف هي أحوالُ المرضى والعجائزِ في هذه الظروفِ الخانقةِ
.. التي يفرضُها عليهم جيشُ احتلالٍ وعدوان .. وسياساتُ
تواطؤٍ معه عبر عالمنا ..

لا تتوقّف تحذيراتُ الأممِ المتحدةِ من خطورةِ هذه المجاعة ..
وتقرّعُ الهيئاتُ الإنسانيةُ الدولية نواقيسَ الخطرِ من فظاعةٍ ما
يجري .. دون أن يتدخّل عالمنا لفرضِ القانونِ الدوليّ .. ووقفِ
الجريمةِ الوحشيةِ ضدّ الإنسانية ..



إنَّ حربَ التجويعِ الجاريةِ هذه وَصَمَةٌ عارٍ في جبينِ عالمنا ..
فهي حربٌ وحشيةٌ حَرَمَتِ المدنيين الأبرياءَ من الأطفالِ
والنساءِ والشيوخِ وعمومِ الأهاليِ الغذاءَ والشرابَ والدواءَ ..
حربٌ قرَّرتها حكومة .. ومارسها جيش .. ودعمتها دُول ..
وحماها «الفيديو» الآثمُ في مجلسِ الأمن .. إذ تدخل في كلِّ مرّةٍ كي
لا تتوقَّفَ الإبادة .. كي لا تتعرقُلَ المذبحة .. كي لا يجدَ الطعامُ
والشرابُ والغذاءُ سبيلَهُ إلى المدنيِّينَ من شعبِ فلسطينَ في غزّة
..

ما كان لهذهِ الوحشية .. لهذهِ التواطؤات .. أن يُسَمَّحَ بها في غيرِ
هذه البقعةِ من الأرض .. ما كان لها أن تُمارَسَ مع أُمَّةٍ أخرى
.. أو أن يُقترَفَ مع غيرِ هذه الأُمَّةِ قِسْطٌ يسيرٌ ممَّا يوقع على
شعبِ فلسطينَ في قطاعِ غزّةِ اليوم .. ولو فُعلت بعضُ هذه
الأفاعيلِ الشنعاءِ بقومٍ آخرين .. لوجدنا دولاً تتدخلُ لوقفها ..
وتحرُّكاتٍ دوليةً تهبُّ للردِّ عليها ..

إنَّ القلبَ ليتفطَّر .. وقد رأى اجتماعَ القصفِ الوحشيِّ على
الأهاليِ في غزّة .. مع حربِ التجويعِ التي نهشت صغارهم
وكبارهم ..



إِنَّ الْبَدْنَ لَيَنْتَفِضُ .. مِنْ هَوْلِ مَشَاهِدِ الْمَجَاعَةِ الَّتِي صَنَعَهَا
الطُّغْيَانُ الْمَشْهُودُ .. مِنْ فِظَاعَةِ التَّجْوِيعِ الرَّهِيْبِ الَّتِي يُرْغَمُ
شَعْبًا كَرِيمًا عَزِيزَ النَّفْسِ عَلَى أَنْ يَهِيْمَ عَلَى وَجْهِهِ حَامِلًا قَدْوَرَ
الطَّعَامِ الْخَاوِيَةِ ..

يَجْرِي هَذَا كُلُّهُ .. وَقَوَافِلُ شَاحِنَاتِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالغِذَاءِ
وَالكِسَاءِ .. تُنَمَّعُ مِنَ الْعُبُورِ إِلَى قِطَاعِ غَزَّةَ .. وَآلَافُ الْأَطْنَانِ
مِنَ الْأَغْذِيَةِ مَكْدَسَةٌ فِي الْمَوَانِي الْقَرِيبَةِ وَيُحْظَرُ دُخُولُهَا إِلَى هَذَا
الشَّعْبِ .. وَقَدْ حَشَدَ الْمُحْتَلِّونَ جُمْهُورًا عُنْصْرِيًّا تَوَعَّدَ أَيَّ
شُحْنَةٍ إِغَاثَةٍ دَوْلِيَّةٍ تَدْخُلُ إِلَى غَزَّةَ بِالْمَنْعِ وَالْإِعْتِرَاضِ .. كَيْ
يَمُوتَ النَّاسُ جُوعًا وَعَطْشًا وَمَرْضًا ..

إِنَّهَا الْمَجَاعَةُ الْمُرْجَمَةُ .. الْمَقْتَلَةُ الْوَحْشِيَّةُ الْمُصْطَنَعَةُ .. الَّتِي مَسَّتْ
النَّاسَ جَمِيعًا فِي قِطَاعِ غَزَّةَ .. مَسَّتْ أَخَوَاتِنَا وَإِخْوَتَنَا .. مَسَّتْ
أُمَّهَاتِنَا وَجَدَّاتِنَا وَشِيُوخَنَا .. كَمَا مَسَّتْ أَطْفَالَنَا مِنْ كُلِّ الْأَعْمَارِ
.. حَتَّى الرُّضْعِ مِنْهُمْ .. الَّذِينَ لَمْ يَجِدُوا ضِرْعًا يُشْبِعُهُمْ وَلَا لَبَنًا
يُغَذِّيهِمْ وَلَا مَاءً نَقِيًّا يَرُوي ظِمَاءَهُمْ ..

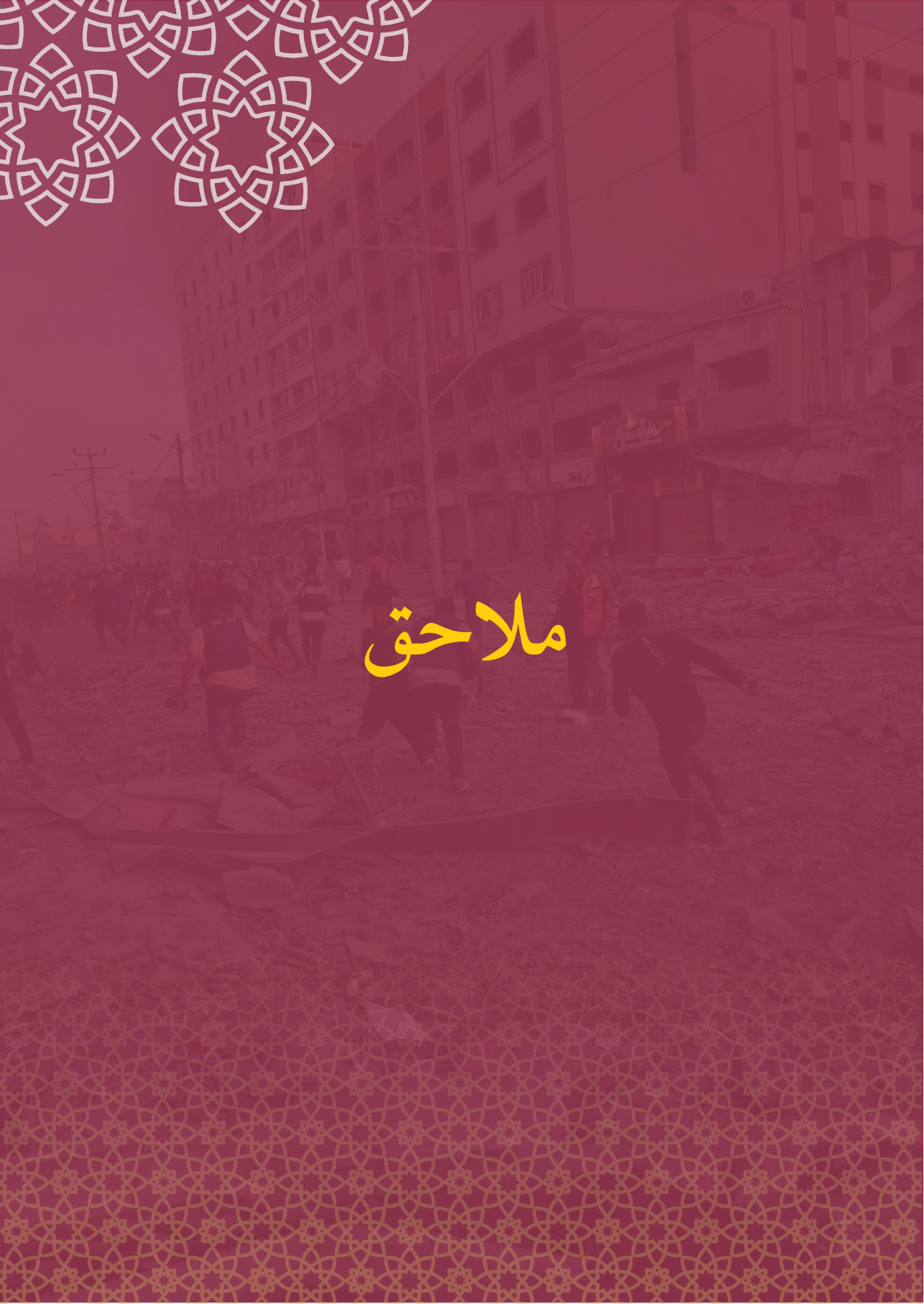
أَيُّ بَشَاعَةٍ هَذِهِ الَّتِي اقْتَرَفَتْ تَحْتَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ .. مِنْذُ
أَنْ أَعْلَنَ قَادَةُ الْحَرْبِ تَصْرِيحًا لَا تَلْمِيحًا .. أَنَّهُمْ بَاشَرُوا قَطْعَ



الماء والغذاء والدواء والوقود والكهرباء وكلّ شيء عن هذا الشعب .. وانتهى المشهدُ إلى مجاعةٍ ضاريةٍ افتعلوها .. وموتٍ بطيءٍ اصطنعوه كي يفترسَ الناس .. كي ينهشهم نهشاً .. دون أن تُوقَفَ الجريمةُ الوحشية .. أو يُردَعَ مقترفوها .. أو يُحاسبَ داعموها .. أو يُساءلَ مَنْ يَنهَمُكون في تبريرها والتماسِ الأعذارِ لها في منصّاتِ السّياسةِ والإعلامِ عبر العالم ..

إنّ من حقِّ أهلِ غزّةِ علينا .. أن نهتمّ بأمرهم .. ونشغلَ بهمّهم .. أن نقفَ معهم في هذا البلاءِ العظيم .. في هذه المأساةِ الرهيبة .. في هذه الإبادةِ الوحشية .. وأن نرفعَ أصواتنا لدعمِ الحقِّ والعدلِ وفي مواجهةِ الظُّلمِ والعدوانِ والتجويع .. وأن يدركوا أنّهم ليسوا وحدهم .. وأنّ لهم أُمَّةً تقفُ إلى جانبهم .. وضماناً حرةً تلتفُّ حول قضيتهم .. كي لا ينالهم شعورُ الخذلانِ المرير .. فالوقوفُ إلى جانبِ فلسطينَ وشعبها .. ومساندةُ غزّةِ الجريحةِ وأهلها .. هو من أعظم الواجباتِ في هذه الأيام ..





ملاحق





إعلان عالمي من مفكرين و مثقفين و قيادات دينية و شخصيات عامّة و أدباء و فنّانين الفضائع الجارية في غزّة تحدّد أخلاقيّ للعالم أجمع

- ١- نواكب، بأسى و غضب، فضائع رهيبة تستهدف أكثر من مليوني إنسان من الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، معظمهم من الأطفال و النساء. إنّ هذا يمثّل تحديّاً أخلاقياً للعالم أجمع يستدعي يقظة إنسانية عاجلة و مراجعة مبدئية صارمة.
- ٢- نرفض غضّ النظر عن الجرائم الشنيعة ضدّ الإنسانية الجارية ضدّ الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، التي تتخذ طابع الإبادة و التطهير العرقي، و نستنكر بأقصى العبارات ما يحظى به ذلك من دعم عسكري و سياسي و دعائي متواصل من جانب قوى دولية.
- ٣- كشفت هذه التطوّرات أنّ عالمنا يعاني اختلالات جسيمة، و أزمة أخلاقية مُتفاقمة، و معضلة قيمية مُستعصية، و ممارسات دعائية مضلّلة.



٤- نحذّر من العواقب التي يجرّها تغييب المواثيق والشرائع وإسقاط القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني؛ على السّلم العالمي ومصالح الشعوب.

٥- إنّ دعم الاحتلال العسكري وسياسات القهر والاضطهاد وحمولات الإبادة والتطهير العرقي وجرائم الحرب بسرديّات تنذرّع بالأخلاق والمبادئ والإنسانية؛ هو تغليف مضللّ يتّخذ من الشعار الأخلاقي والمبدئي والإنساني أداة قتل وقهر واضطهاد.

٦- ليس مقبولاً استدعاء القيم والمبادئ والمواثيق أو تعطيلها بصفة انتقائية سافرة حسب أولويّات السياسة واتجاهات المصالح. إنّ تناقض مواقف القوى الدولية حسب مصالحها واستقطاباتها؛ ينزع المصدقية عن مواقفها عموماً.

٧- العدوان الرهيب الجاري ضدّ الشعب الفلسطيني في قطاع غزة أفقد شعوباً وجمهير حول العالم ما تبقى لديها من ثقة بأخلاقيّات النظام الدولي، وبعمل العدالة الجنائية الدولية، وبمفعول القيم والمبادئ والمواثيق والشعارات في الواقع.

٨- من بواعت الفرع أن تحتفي منصّات دولية وسياسية



وإعلامية بخطابات مكرّسة لتبرير العدوان وتمجيد مقترفه
ولوم ضحاياه وتحميلهم المسؤولية عن مصيرهم المرعب قتلاً
وسحقاً وتعطيشاً وتجويعاً وتشريداً.

٩- ما يجري في فلسطين يُعيد إلى الأذهان فصولاً مُرعبة من
ذاكرة العهد الاستعماري. إنّ هذا يؤكّد أهمية فتح ملفات
الاستعمار ومحاکمته أخلاقياً ومبدئياً واستلھام العظّات اللازمة
منه للحاضر والمستقبل.

١٠- نستهنّ وضع بعض البشر فوق بعض في المرتبة
والحقوق والاهتمام، ونبذ المساس بكرامة أيّ من الشعوب
والجماعات البشرية بصفة صريحة أو إحيائية.

١١- إنّ الفظائع الجارية في غزة مثال مُعبّر عن عالم يُعاني من
اختلالات جسيمة على حساب جنوب الكوكب وشعوبه
ومجتمعاته، وهذا يتطلّب نهجاً تصحيحياً عاجلاً بلا هوادة.

١٢- نحذّر من نهج احتكار الحقيقة ومصادرة القيم والمبادئ
وتشغيلها انتقائياً حسب مصالح القوى الدولية وفرض سردية
أحادية على العالم تقوم على التحيّز والغطرسة والتجاهل
والتبرير.



١٣- إنّ عالماً يُقرّر تشغيل قيمه ومبادئه ومواثيقه بصفة انتقائية، ولا تتكافأ فيه أرواح البشر أو تتساوى فيه حقوقهم وحرّياتهم وكرامتهم؛ هو عالم جائر يزرع الغضب في صفوف أجيالٍ تلاحظ الفجوة بين شعارات نبيلة وممارسات مروّعة.

١٤- إنّ الرضوخ لخطابات تبرير الإبادة والتطهير العرقي وجرائم الحرب التي سُمعت من منصّات دولية وثقافية وإعلامية يمثّل تهديداً للإنسانية جمعاء وليس للشعب الفلسطيني وحده.

١٥- نحذّر من إسباغ أوصاف «الحضارة» و«التحضّر» و«الإنسانية» و«الخير» و«النور» على سياسات الإبادة وجرائم الحرب، ومن تبرير الفظائع عبر نزع الإنسانية عن الشعوب المضطّّهة وتسميم أجواء التعايش الإنساني والتفاعل الثقافي في عالم متنوّع.

١٦- يفتقد عالمنا سُلطة مُساءلة أخلاقية تقف في وجه الغطرسة والسطوة وانتهاك المواثيق والشرائع وسياسات الإبادة والتطهير العرقي وجرائم الحرب والاضطهاد.

١٧- صار مُلحاً خَوْض نقاش فلسفي وفكري وثقافي عالمي



للتحقُّق من مدى جاهزية عالمنا المبدئية والأخلاقية للامتثال للمواثيق الإنسانية والدولية والتصديِّ لحملة الإبادة والتطهير العرقي وسلب حقوق الشعوب وحرِّيَّاتها.

١٨- على رواد الفلسفة والفكر والثقافة والأدب والفنِّ وقادة المجتمعات الدينية والمدنية النهوض بدورهم المبدئي والأخلاقي في إنصاف الحقوق والعدالة والحرية وكرامة الإنسان في فلسطين وفي كلِّ مكان، وفي التصديِّ للظلم والقهر والاضطهاد والإبادة والتطهير العرقي والسياسات العنصرية.

١٩- يتعيَّن إعلاء صوت الضمير الإنساني بشجاعة وقبل فوات الأوان، فالجرائم ضدَّ الإنسانية انتهاك للبشرية جمعاء وليس فقط لضحاياها المباشرين الذين تُسلب حقوقهم في الحياة والأمان والحرية والكرامة في فلسطين.

٢٠- إنَّ عالماً يُحدِّد موقفه من الفظائع والانتهاكات طبقاً لهويَّة الجاني وهويَّة الضحية؛ هو عالم لا أمان فيه ولا حقوق ولا عدالة، ولن تتورَّع دوله وجيوشه عن الفتك ببعض البشر لتمكين بعض السياسات التي تُقدِّم مصالحها على التزاماتها المعلنة.



٢٩ يناير / كانون الثاني ٢٠٢٤

*صدر هذا الإعلان العالمي بثمان لغات هي الإنجليزية والعربية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية والألمانية والتركية والبوسنية/ الصربوكرواتية، وشملت قائمة أوائل الموقعين عليه أكثر من مائة شخصية من أنحاء العالم.



الإعلان الإنساني العالمي لنصرة فلسطين

صدرت هذه الوثيقة عن ورش عمل تخصصية عُقدت ضمن أعمال «المؤتمر الشعبي العالمي لنصرة فلسطين»، الذي التأم في اسطنبول يومي ٢٢ و٢٣ مايو/ أيار ٢٠٠٩، تحت شعار «نحو نصرّة دائمة لفلسطين». وقد تمّ وضع هذه الوثيقة من جانب مثقّفين وأكاديميّين وقانونيّين وسياسيّين وخبراء وإعلاميّين ومتضامنين وممثلي مؤسّسات وتجمّعات غير حكوميّة، من عموم أوروبا ومناطق عدّة من العالم، وفي ما يلي نصّها:

- أولاً/ للشعب الفلسطيني حقوق مقرّرة، ثابتة وعادلة وغير قابلة التصرّف أو المساومة أو الإرجاء، أسوة بغيره من أمم الأرض، كحقّ العودة، وتقرير المصير، وإقامة دولته



المستقلة، والسيادة على أرضه، والانتفاع الحرّ بموارده، والتمتع بالحرية والأمن. وينبغي على المجتمع الدولي وكلّ مناصري الحقوق والعدالة مساندة الشعب الفلسطيني والوقوف إلى جانبه في الكفاح لانتزاع هذه الحقوق السلبية التي لا تسقط بالتقادم، كما أكدت عليه موثيق القانون الدولي.

• ثانياً/ إنّ نظام الاحتلال القائم في فلسطين يمثل نموذجاً استعماريّاً إحتلالياً لم يعد لمثيله وجود في عالم اليوم، وهو يقوم بشكل صارخ على أساس عنصري، بموجب المزايم التي يتذرّع بها والسياسات التي يعتمدها والممارسات التي يتبعها. فقد أقامت الحركة الصهيونية دولة عنصرية فوق أرض فلسطين، بصورة قامت على اغتصاب الأرض والديار وتشريد الشعب الفلسطيني واعتماد سياسة توسعية، وبدون أدنى مشروعية تسوّغ ذلك. وقد ظلّ الاحتلال الإسرائيلي يمارس انتهاكات مرّعبة لحقوق الإنسان الفلسطيني، وحرّياته، تُضاف إلى جريمة الطرد الجماعي والتطهير العرقي واحتلال الأرض والحرمان من السيادة وسلب حق تقرير المصير.

• ثالثاً/ إنّ النظام الدولي بعامة، والقوى الأوروبية والغربية



بخاصة، تتحمّل مسؤولية تاريخية نحو الشعب الفلسطيني، وقضيّته العادلة، خاصة وأنّ احتلال فلسطين ما كان ليتمّ، وما كان ليستمرّ في بقاءه وعدوانه المتواصل؛ لولا دور بعض الدول الأوروبية والغربية التي ساندت ذلك الاحتلال ورعته وأمدّته بمقومات الهيمنة والتوسّع. وإنّ هذه الدول تتحمّل تبعات تلك المساندة بما يوجب عليها إحقاق الحق، ولن يحلّ السلام في المنطقة دون إعادة الحقّ لأصحابه.

• رابعاً/ على كافة المستويات الرسمية ودوائر صنع القرار، وبخاصة في العالم الغربي، من حكومات وبرلمانات ومؤسسات عامة ومجتمع مدني وقادة رأي، الامتناع عن توفير الذرائع والمبرّرات لاحتلال فلسطين، بل يتوجّب الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني وتمكينه من استعادة حقوقه غير القابلة للتصرف، وقطع الطريق على أي دعم مقدّم لذلك الاحتلال.

• خامساً/ إنّ قطع الطريق على أي دعم مقدّم للاحتلال الجاثم على أرض فلسطين، هو مسؤولية إنسانية وأخلاقية تليها الشرائع والقيم الإنسانية والمعايير الأخلاقية، من منطلق



مساندة العدل والحرية، والوقوف ضد الظلم والاحتلال، مع ضرورة إدراك خطورة المظلمة الواقعة على الشعب الفلسطيني وضرورة أن يتداعى الجميع للقيام بمسؤولياته في رفع هذه المظلمة.

- سادساً/ إنَّ أي عملية تسوية سياسية للقضية الفلسطينية، لا يمكن أن تنهض بالانتقاص من حقوق الشعب الفلسطيني ومحاربة سلطة الاحتلال. كما أنَّ السلام لا يتحقق بتجاهل العدالة، فهو ثمرة إنهاء الاحتلال وإرجاع الحقوق المغتصبة لأصحابها الشرعيين وتوفير الأجواء الملائمة له، علاوة على أنَّ السلام لا يتعايش إطلاقاً مع فرض الاحتلال والاضطهاد والتمييز العنصري والحرمان من السيادة والحقوق والحرية.
- سابعاً/ للشعب الفلسطيني الحق في مقاومة الاحتلال الجاثم على أرضه التاريخية ودياره بكافة الوسائل والتي أكدتها مواثيق الأمم المتحدة، والتصدي للعدوان المستمر عليه، وينبغي أن يلقى في ذلك دعم المجتمع الدولي وجميع المناصرين للحق والحرية في هذا العالم.
- ثامناً/ حق اللاجئين الفلسطينيين وذراريهم في العودة إلى



أرضهم وديارهم التي هُجِّروا منها في فلسطين التاريخية، هو حق فردي وجماعي في آن، ثابت وغير قابل للتصرّف، وليس من المقبول إخضاعه لأي مساومة كانت أو محاولة القفز عليه أو تجاوزه، وهو حق مقرّر في صميم المواثيق الإنسانية والدولية علاوة على النص الواضح عليه في مقررات النظام الدولي.

• تاسعاً/ إنّ مدينة القدس، هي عاصمة فلسطين وقلبها النابض، بهويتها التاريخية الحضارية العربية الفلسطينية الموحدة في القدم عبر آلاف السنين ومقدساتها. وإنّ أوضاع القدس تقتضي يقظة إنسانية عاجلة، في ظلّ التصاعد المطرد لتهديدات الاحتلال بحقوقها وعدوانه على تاريخها بتغيير المعالم وتزوير هويتها، وممارسته الطرد والعزل بحق سكانها الشرعيين، وتطويقها بأحزمة الاستيطان غير الشرعي والجدران والأسيجة العنصرية، بهدف فرض الأمر الواقع الاحتلالي بأي ثمن.

• عاشرًا/ إنّ شتى المواقف المساندة لقضية فلسطين العادلة، التي تبديها أي من الدول أو المؤسسات أو الجمعيات أو الشخصيات، هي جديرة بالتقدير والامتنان، خاصة وأنّ هذا الدور المشرف يعكس يقظة الضمائر الإنسانية المناصرة



للاحقوق والعدالة والمناهضة للظلم والعدوان.
وفي الختام؛ فإنّ التضحيات الهائلة التي قدّمها الشعب
الفلسطيني عبر مسيرته الطويلة، وصموده المشرف في وجه
حملات الإبادة والإلغاء والعدوان عليه، والضريبة الكبيرة
التي تكبّدها من الشهداء والجرحى والأسرى والمعتقلين،
دفاعاً عن وطنه ودياره، وذووداً عن حقوقه وحرّيته وكرامته،
جيلاً في إثر آخر، تمثل نموذجاً ساطعاً لكرامة الإنسان وكفاح
الشعوب العادل من أجل خياراتها، حتى تحوّلت فلسطين إلى
رمز للحق والعدالة في هذا العالم.

٢٣ مايو / أيار ٢٠٠٩



﴿.. وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾


سورة النساء ٤٥





يصدر هذا الدليل بينما تتواصل حرب الإبادة الوحشية التي تستهدف الشعب الفلسطيني في قطاع غزة (2023 - 2024)، في موسم مُزلزل، حرك الضمائر اليقظة والجماهير الحرة حول العالم على اختلاف ألسنها وألوانها وانتماءاتها الثقافية والدينية. وقد تعين على منابر المساجد أن تقول قولتها في هذه النازلة الجسيمة، التي شغلت الناس في المشارق والمغرب، ويؤمل من هذا الدليل أن يُساند الإمام والخطيب في الإعراب عن موقف شرعيٍّ ومبدئيٍّ من الاحتلال الجائر والإبادة الجماعية والتطهير العرقي وجرائم الحرب الفظيعة، ومناصرة حقوق شعب فلسطين الواقع تحت احتلال عسكري مديد واضطهاد مُزمن وتفرقة عنصرية متأصلة وجولاتٍ عدوانٍ متلاحقة، وإن لم يوافق هذا أهواء السياسة والإعلام.

 www.euimams.org

 info@euimams.org



EUROPEAN COUNCIL OF IMAMS
المجلس الأوروبي للأئمة